الـمَرْجِعِيَّةُ النَّصِّيَّةُ لِـمُوجِبَاتِ التَّسْبِيحِ فِي الخِطَابِ القُرْآنِّي " الـمُسَبِّحَاتُ السَّبْعُ نَمُوذَجًا"

Textual Reference for the Necessitating Causes for the Glorification of Allah in the Qur'anic Discourse " The Seven Musabbihat" as a Model

د. بَسْمَةُ عَبْد اللهِ عُبَيد الْعُصِيمِيُّ

أُسْتَاذُ عِلْمِ اللُّغَةِ الـمُشَارِكِ، قِسْمُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة وآدَابِهَا، كُلِّيَّةُ الآدَابِ، جَامِعَةُ الطَّائِفِ

مُسْتَخْلَصٌ:

القُرْآنُ الكَرِيمُ هُوَ النَّبْعُ الفيَّاضُ الذّي يَنْهَلُ مِنهُ البَاحِثُونَ، إِلى أَنْ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيهَا؛ لِذَا فَلَنْ تَتَوَقَّفَ جُهُودُ البَاحِثِينَ في تَتَبُّعِ ظَوَاهِرِهِ، واِسْتِكْشَافِ أَسْرَارِهِ، وأَبْعَادِهِ الجَمَالِيَّةِ؛ لِذَا تَنْحُو هَذِهِ الدِّرَاسَةُ النَّصِّيَّةُ نَحوَ دِرَاسَةِ السُّوَرِ التِي اُصْطُلِحَ عَلَيهَا بالسُّوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ، أَوِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ السَّبْعِ؛ ذَاكَ الـــمُصْطَلَحُ الذي يُشِيرُ إِلَى السُّوَرِ السَّبعِ التِي بَدَأَتْ بأَحَدِ أَلْفَاظِ التَّسْبِيحِ المشْتَقَّةِ منَ الجِذْرِ "سَبَحَ"؛ وهِيَ كالآتِي:(سُبْحَانَ، سَبَّحَ، يُسَبِّحُ، سَبِّحْ)، والسُّورُ السَّبْعُ المقصُودَةُ هِيَ:(الإِسْرَاءُ، والحَدِيدُ، والحَشْرُ، والصَّفُّ، والجُمُعَةُ، والتَّغَابُنُ، والأَعْلَى).

وتَكْمُنُ أَهَمِّيَّةُ دِرَاسَتِنَا هَذِهِ في اِسْتِكْشَافِ أَبْعَادِ التَّمَاسُكِ النَّصِّيِّ بينَ هذهِ السُّورِ؛ بوَصْفِهَا وَحْدَةً نَصِّيَّةً كُبْرَى؛ وَهُوَ مَنَاطُ اِختِلَافِها عَنِ الدِّرَاسَاتِ البَلَاغِيَّةِ واللُّغَوِيَّةِ التِي سَبَقَتْها حَوْلَ سُوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ السَّبْعِ، وسَيَسْتَكْشِفُ البحثُ أَبْعَادَ التَّمَاسُكِ النَّصِّيِّ بينَ سُورِ المسبِّحَاتِ بَعْدَ حَصْرِ مُوجبَاتِ التَّسْبِيحِ الوَارِدَةِ في آياتِ تِلْكَ السُّورِ مِنْ جَانِبٍ، مَعَ الوُقُوفِ عِنْدَ آلِيَّاتِ التَّمَاسُكِ فِيمَا بَينَهَا مَعَ تَبَاعُدِهَا ؛ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ.

وَمِنْ ثَمَّ؛ فَسَتَتَبَّعُ الدِّرَاسَةُ الـــمَنْهَجَ الاِسْتِقْرَائِيَّ؛ بوَصْفِهِ الـــمَنْهَجَ الأَكْثَرَ مُلَاءَمَةً لاِسْتِكْشَافِ آلِيَّاتِ التَّمَاسُكِ النَّصّيِّ بَينَ عِدَّةِ نُصُوصٍ مُتَبَاعِدَةٍ؛ بِوَصْفِهَا وَحْدَةً نَصِّيَّةً كُبْرَى، في آنٍ وَاحِدٍ.

- **الكَلِمَاتُ الـــمِفْتَاحِيَّةُ:** (الـــمُـــسَبِّحَاتُ السَّبعُ، مُوجِبَاتُ التَّسبِيحِ، القُرْآنُ الكَرِيمُ، التَّمَاسُكُ النَّصّيُّ).

أَوَّلًا: مــُقَدِّمَةُ الدِّرَاسَةِ:

١/١- إِشْكَالِيَّةُ الدِّرَاسَةِ:

مَعَ تَعَدُّدِ الدِّرَاسَاتِ حَوْلَ سُوَرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وتَنوُّعِهَا في الآنِ ذَاتِهِ، دُرِسَتْ؛ فِيمَا دُرِسَ، سُوَرُ الــمُــسَبِّحَاتِ السَّبعِ، ولكِنَّنا لا نَظْفَرُ بِدِرَاسَةٍ نَصِّيَّةٍ مُتكَامِلَةٍ تَنْظرُ لِهَذهِ السُّورِ الــمُــبَارَكَاتِ؛ بِوَصْفِهَا وَحْدَةً نَصِّيَّةً كُبْرَى نَظرَةً وَاحِدَةً، تَتَنَاوَلُها مِنْ خِلَالِها بِدِقَّةِ الدَّرْسِ والتَّحْلِيلِ مِنْ مَنْظُورِ عِلْمِ اللُّغَةِ النَّصِّيِّ؛ في حِينِ نَهَضَتْ بَعْضُ الدِّرَاسَاتِ البَلَاغِيَّةِ تَدْرُسُها مِنْ وِجْهَةٍ بَلَاغِيَّةٍ خَالِصَةٍ، ولَيسَ لَنَا أَنْ نُنكرَ، أَيضًا، بَعْضَ الجُهُودِ اللُّغَوِيّةِ حَوْلَها؛ مِنهَا دِرَاسَاتٌ تَنَاوَلَتْ بَعْضَ هَذِهِ السُّورِ، لَكِنَّها دِرَاسَاتٌ نَصِّيَّةٌ لِسُورٍ مِنْهَا بِعَينِها دُونَ غيرِها.

وَمِنْ ثَمَّ؛ جاءَ اختيارُنا لهذِهِ الدِّرَاسَةِ، التي تَتَّخِذُ مِنْ هَذِهِ السُّوَرِ وَحْدَةً لُغَوِيَّةً مُتَكَامِلَةً، مُسْتَمِدَّةً آلِيَّاتِهَا، وَفقَ مُعْطَيَاتِ عِلْمِ اللُّغَةِ النَّصِّيِّ، مَنْهَجًا فِي الدَّرْسِ والتَّحْلِيلِ والتَّطْبِيقِ؛ مِمَّا يَعْنِي تَنَاوُلَ السُّوَرِ السَّبعِ؛ بِوَصْفِهَا وَحْدَةً نَصِّيَّةً كُبْرَى، سَتَكشِفُ الدِّرَاسَةُ أَبْعَادَ التَّمَاسُكِ النَّصِّيّ بَينَها جَمِيعًا؛ الأَمْرُ الذي لَمْ تُلَبِّهِ الدِّرَاسَاتُ السَّابِقةُ حَوْلَ الــمُــسَبِّحَاتِ السَّبعِ.

وفي ضَوْءِ ما تَقَدَّمَ؛ جَاءَ عُنْوَانُ الدِّرَاسَةِ الحَالِيَةِ:(الــمُــسَبِّحَاتُ السَّبعُ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ: دِرَاسَةٌ نَصِّيَّةٌ).

١/٢- تَسَاؤُلَاتُ الدِّرَاسَةِ:

تُحَاوِلُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ الإِجَابَةَ عَنْ عِدَّةِ تَسَاؤُلَاتٍ؛ مِنْهَا:

- هَلْ تُلَبِّي الدِّرَاسَاتُ النَّصِّيَّةُ حَوْلَ سُوَرِ الــمُــسَبِّحَاتِ الغَايَةَ مِــنَ الدِّرَاسَةِ النَّصِّيّةِ التي تَتَنَاوَلُ السُّوَرَ كُلَّهَا مُجْتَمِعَةً في بَوْتَقَةٍ نَصِّيَّةٍ وَاحِدَةٍ ؟
- وما الــمَــعَايِيرُ النَّصِّيَّةُ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُدْرَسَ السُّوَرُ مُجْتَمِعَةً دِرَاسَةً نَصِّيَّةً في ضَوْئِهَا ؟
- وَهَلْ مِنَ الــمُمْكِنِ أَنْ يُقَدِّم عِلْمُ اللُّغَةِ النَّصِّيِّ بِمُعْطَيَاتِهِ، ما لَمْ تُحقِّقْهُ الدِّرَاسَاتُ اللُّغَوِيَّةُ التَّقْلِيدِيَّةُ ذَاتُ الــمُــسْتَوَيَاتِ الصَّوتِيَّةِ والصَّرْفِيَّةِ والنَّحْوِيَّةِ والدَّلَالِيَّةِ حَوْلَ سُوَرِ الــمُــسَبِّحَاتِ أَو غَيرِها ؟
- أَكَانَتِ الدِّرَاسَاتُ البَلَاغِيَّةُ عَلَى مُسْتَوَى البَيَانِ، أو البَدِيعِ، أو الــمَعَانِي كافِيَةً لِاسْتِكْشَافِ جَمِيعِ جَوَانِبِ الإِعْجَازِ القُرْآنِيّ في تِلْكَ السُّوَرِ ذَاتِ الرِّبَاطِ الوَاحِدِ؟

- وما أَبْعَادُ التَّمَاسُكِ النَّصِّيّ بَينَ أَجْزَاءِ كُلِّ سُورَةٍ منهَا عَلَى حِدَةٍ، والسُّوَرِ السَّبْعِ كُلّهَا؛ بِوَصْفِهَا نَصًّا كُلِّيًّا ذَا رِبَاطٍ وَاحِدٍ؟

١/٢- مَنْهَجُ الدِّرَاسَةِ: تَنْهَجُ هَذهِ الدِّراسَةُ مَنْهَجًا وَصْفيًّا اِسْتِقْرَائِيًّا تَحليليًّا؛ باستِثْمَارِ أَدَوَاتِ الــمَــــنْهَجِ الاستِقْرائِيِّ، الَّذِي يُعَدُّ، بطَبيعَتِهِ أَحَدَ طَرَائِقِ الاِسْتِنْتَاجِ، الَّتِي تُيسِّرُ الوُصُولَ إِلَى عِدَّةِ أَحْكَامٍ، يُمكِنُنَا تَعْمِيمُهَا عَنْ طَرِيقِ الــمُلَاحَظَةِ، أَوِ الــمُشَاهَدَةِ، ومُتَابَعَةِ الجُزئيَّاتِ والظَّوَاهِرِ(١)؛ لِذَا رَأَيْتُهُ الــمَنْهَجَ الأَكْثَرَ مُلَاءَمةً لِاسْتِكْشَافِ آلِيَّاتِ التَّمَاسُكِ النَّصّيّ بينَ النُّصُوصِ الــمــتَعَدُّدةِ في آنٍ وَاحِدٍ، والأقرَبَ إِلَى تَحقِيقِ غَايَاتِ الدِّرَاسَةِ وأَهْدَافِهَا المنشُودَةِ؛ فِيمَا أَرَاهُ.

١/٣- أَهْدَافُ الدِّرَاسَةِ:

تَسْعَى هَذهِ الدِّرَاسَةُ إِلَى:

أَوَّلًا: خِدْمَةُ كِتَابِ اللهِ، سُبْحَانَه وَتَعَالَى، بِمَزِيدٍ مِنْ فَهْمِهِ في صُورةٍ كُلِّيَّةٍ، وتَدَبُّرِ آياتهِ في سِيَاقٍ مُتَكَامِلٍ.

ثَانِيًا: كَشْفُ الأَبْعَادِ الجَدِيدَةِ لِلتَّمَاسُكِ النَّصِّيِّ دَاخِلَ النَّصِّ القُرْآنيّ؛ إِذْ تُحَاوِلُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ إِثْبَاتَ التَّمَاسُكِ بَينَ سُوَرٍ تَبْدُو مُتَبَاعِدَةَ الــمَــوَاضِعِ دَاخِلَ النَّصِّ القُرْآنيّ، لَكِنِّي أَتَنَاوَلُها في دِرَاسَتِي هَذِهِ في ضَوْءِ الدِّرَاسَةِ النَّصِّيَّةِ؛ بحيثُ تَغْدُو السُّوَرُ المسَبِّحَاتُ السَّبعُ نَصًّا مُتَنَاسِقًا مُتَلَاحِمًا في وَحْدَةٍ كُلِّيَّةٍ مُتَمَاسِكَةٍ.

ثَالِثًا: الوُقُوفُ عَلَى أَوْجُهٍ جَدِيدَةٍ مِنْ أَوجُهِ الإِعْجَازِ القُرْآنِيِّ في ضَوْءِ مُعْطَيَاتِ عِلْمِ اللُّغَةِ النَّصّيّ التَّنْظِيرِيَّةِ، خِلَالَ السَّبعِ سُورٍ المــتَبَاعِدَةِ الــمَــوَاضِعِ في النَّصِّ القُرْآنِيِّ.

١/٤- أَهَمِّيَّةُ الدِّرَاسَةِ : تَسْتَمِدُّ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ أَهَمِّيَّتَهَا مِنْ عِدَّةِ رَوَافِدَ؛ مِنْها:

- **أَوَّلًا:** سُمُوُّ مَادَّتِهَا اللُّغَوِيَّةِ؛ فَهِيَ تدرُسُ آياتِ الذِّكْرِ الحَكِيمِ عَامَّةً، وما أَسْمَاهَا مِنْ مَادَّةٍ! وسُوَرِ الــمُــسَبِّحَاتِ خَاصَّةً، وهِيَ سُوَرٌ اختصَّها الــمَــولَى ﷻ، ويَجْمَعُها البَدْءُ بأَلْفَاظِ التَّسْبيحِ الــمُتَنَوِّعَةِ، دُونَ غَيرِها مِنْ سُوَرِ القُرْآنِ العَظِيمِ؛ مِمَّا يُكْسِبُ هَذِهِ الدِّرَاسَةَ أَهَمِّيَّةً خاصَّةً في كَشْفِ الحِكْمَةِ مِن تِلْكَ البِدَايَاتِ في هَذِهِ السُّوَرِ مُجْتَمِعَةً، وكأَنَّها رَابِطٌ يَضُمُّها ويَربِطُها في نَصٍّ وَاحِدٍ مُتَمَاسِكٍ.

١- عبد النور، جبور، الــمــعجم الأدبي،ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ١٩ .

- **ثانيًا:** تُعَدُّ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ فِي طَلِيعَةِ الدِّرَاسَاتِ النَّصِّيَّةِ التِي تَدْرُسُ سُوَرَ الـمُسَبِّحَاتِ السَّبعِ فِي وَحْدةٍ وَاحِدَةٍ، مُتَمَاسِكَةً مُتَلَاحِمَةً، تَكْشِفُ مُعْطَيَاتُ عِلْمِ اللُّغَةِ النَّصِّيّ وَمَبَاحِثِهِ مَلَامِحَ هَذَا التَّلَاحُمِ والاِنْسِجَامِ والاِتِّسَاقِ؛ مِمَّا لم تَفِ بِهِ دِرَاسَةُ كُلِّ سُورَةٍ مِنَ السَّبعِ المسبّحاتِ نَصِّيًّا مُتَفرِّقَاتٍ.
- **ثَالِثًا:** تَفْتَحُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ البَابَ وَاسِعًا أَمَامَ الدَّارِسِينَ لِلمَزِيدِ مِنَ الدِّرَاسَاتِ النَّصِّيَّةِ حَوْلَ السُّوَرِ القُرْآنِيَّةِ التِي يَجْمَعُهَا مِعْيَارٌ نصِّيٌّ وَاحِدٌ؛ كالسَّبْعِ الطُّوَالِ، والطُّوَاسِينِ، والحَوَامِيمِ، والزَّهْرَاوِينِ؛ أَعنِي البَقَرَةَ، وآلَ عِمْرَانَ، وكَهُودٍ وأَخواتِها؛ أَعنِي: الحاقَّةَ، والوَاقِعَةَ، والنَّبَأَ، والْغَاشِيَةَ...إلخ.

١/٥ مَادَّةُ الدِّرَاسَةِ:

تَتَّخِذُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ مِنَ السُّوَرِ التِي اُفْتُتِحَتْ بِلَفظٍ مِنْ أَلْفَاظِ التَّسْبِيحِ الآتِيَةِ:(سُبْحَانَ، سَبَّحَ، يُسَبِّح، سَبِّحْ)، مادَّةً لَها؛ والسُّوَرُ السَّبْعُ التِي بَدَأَتْ بِهَذِهِ الأَلْفَاظِ هِيَ:

- **سُورَةُ** الإِسْرَاءِ التِي بَدَأَتْ بالـمَصْدَرِ (سُبْحَانَ)، **وسُوَرُ** الحَدِيدِ والحَشْرِ والصَّفِّ؛ التِي بَدَأَتْ بِالفِعْلِ الـمَاضِي(سَبَّحَ)،**وسُورتَا:** الجُمُعَةُ والتَّغَابُنُ، اللَّتَانِ بَدَأَتَا بِالفِعْلِ الـمُضَارِعِ: (يُسَبِّحُ)، **وَسُورَةُ** الأَعْلَى التِي بَدَأَتْ بِفِعْلِ الأَمْرِ (سَبِّحْ)، ويَجْمَعُها الجِذْرُ الـمُعْجَمِيُّ(سَبَحَ).

١/٦- الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ:

تَعَدَّدَتِ الدِّرَاسَاتُ حَوْلَ سُوَرِ الـمُسَبِّحَاتِ السَّبعِ، لَكِنَّ مُعْظَمَ تِلْكَ الدِّرَاسَاتِ بَلَاغِيَّةٌ، تَنَاوَلَتِ الـمُسَبِّحَاتِ فِي ضَوْءِ مُعْطَيَاتِ عُلُومِ البَلَاغَةِ الثَّلَاثَةِ المعْرُوفَةِ؛ أَعْنِي عُلُومَ البَيَانِ، والبَدِيعِ، والـمَعَانِي.

وثَمَّةُ دِرَاسَةٌ لُغَوِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، دَرَسَتْ تِلْكَ السُّوَرَ فِي ضَوْءِ الـمَبَاحِثِ اللُّغَوِيّةِ الـمُعْتَادَةِ؛ أَعْنِي فِي مُسْتَوَيَاتِها الأَربَعَةِ المعرُوفَةِ: الصَّوتِيَّةِ، والصَّرْفِيَّةِ، والنَّحْوِيَّةِ، والدَّلَالِيَّةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى الدِّرَاسَاتِ التِي تَنَاوَلَتْ سُورَةً بِعَينِها مِنْ سُوَرِ الـمُسَبِّحَاتِ بالدَّرْسِ النَّصِّيِّ؛ مِمَّا يَعنِي أَنَّ سُوَرَ الـمُسَبِّحَاتِ السَّبعِ لم تُفْرَدْ لَها دِرَاسَةٌ نَصِّيَّةٌ، تَتَنَاوَلُ السُّوَرَ السَّبعَ بِوَصْفِهَا نَصًّا مُتَلَاحِمًا مُتَمَاسِكًا، فِي ضَوْءِ مُعْطَيَاتِ عِلْمِ اللُّغَةِ النَّصِّيِّ.

- **مِنَ الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ:**
- الـمُسَبِّحَاتُ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ "دِرَاسَةٌ بَلَاغِيَّةٌ"، فائِزَة بنتُ سالـمـ صالح أحمد، بَحْثٌ عِلْمِيٌّ مَنْشُورٌ بِمَجَلَّةِ الجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، العَدَدَ رَقْم: ١٥١.

- سُورَةُ "الجُمُعَةِ" الـــمُـــبَارَكَةِ (دِرَاسَةٌ نَصِّيَّةٌ)"، ذَاتُ مَنْهَجٍ وَصْفِيٍّ إِحْصَائِيٍّ تَحْلِيلِيٍّ، نوَّاف عبد الكَرِيم إِبرَاهِيَم غرابيَّة، بَحْثٌ عِلْمِيٌّ مَنْشُورٌ بمَجَلَّةِ الدِّرَاسَاتِ العَرَبِيَّةِ، كُلِّيَّة دارِ العُلُومِ، جَامِعَةُ الـــمـــنْيَا.
- التَّمَاسُكُ النَّصِّيُّ وأَهَمِّيَّتُهُ فِي تَحْلِيلِ الخِطَابِ القُرْآنِيّ، (سُورَةُ الفُرْقَانِ نَمُوذَجًا)، دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ نَصِّيَّةٌ، فِكْرِيّ عبد الـــمـــنْعِمِ النَّجَّار، بَحْثٌ عِلْمِيٌّ مَنْشُورٌ بمَجَلَّةِ جَامِعَةِ الشَّارِقَةِ للعُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ والاِجْتِمَاعِيَّةِ، الـــمُجَلَّد ١٧، العَدَد ١، شَوَّال ١٤٤١هـــــ - ٢٠٢٠م.
- السُّوَرُ الـــمـــفْتَتَحَةُ بالتَّسْبِيحِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ " دِرَاسَةٌ لُغَوِيَّةٌ"، زَهْراء محمد كريم آل بهيّة، رِسَالَة مَاجِسْتِير، كُلِّيَّة التَّربيةِ للعُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ، جَامِعَةُ كَربلَاء، العِرَاق. ٢٠٢١- ٢٠٢٢م.
- الـــمُـــسَبِّحَاتُ الخَمْسُ "دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ ومَوضُوعِيَّةٌ"، سميرة بنت صَقْر بن حُسَيْن آل محمد، رِسَالَةُ دُكْتُورَاه، كُلِّيَّة التَّربيَةِ للبَنَاتِ فِي الرِّيَاضِ، الرِّئَاسَةُ العَامَّةُ لِتَعْلِيمِ البنَاتِ، ١٤١٩هـــــ - ١٤٢٠هـــــ.
- سُورُ الـــمُـــسَبِّحَاتِ الخَمْسِ "دِرَاسَةٌ بَلَاغِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ"، عوَّاد بن عيفان بن رَشِيد العَنْزِيّ، رِسَالَة مَاجِسْتِير، كُلِّيَّة اللُّغَة العَرَبِيَّة بالرِّيَاضِ، جَامِعَةُ الإِمَامِ محمد بن سُعُود الإِسْلَامِيَّة، ١٤٢٨هـــــ - ١٤٢٩هـــــ.
- الـــمُـــسَبِّحَاتُ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ دِرَاسَةٌ دَلَالِيَّةٌ بَيَانِيَّةٌ، مريم محمود مصطفى الشوبكي، رِسَالَة مَاجِسْتِير، كُلِّيَّة الآدَابِ والعُلُومِ، جَامِعَة الشَّرْق الأَوْسَطِ، ٢٠١٠م-٢٠١١م.

وتَكْرَارُ الدِّرَاسَاتِ البَلَاغِيَّةِ والنَّقْدِيَّةِ حَوْلَ سُوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ هُوَ اللَّافِتُ للنَّظَرِ فِي كُلِّ الدِّرَاسَاتِ السَّابقَةِ، مَعَ وُجُودِ فُرُوقٍ زَمَنِيَّةٍ بَينَها؛ مِمَّا يُؤَكِّدُ تَعَدُّدَ زَوَايَا الرُّؤَى بَينَ البَاحِثِينَ، كَمَا يَلْفِتُ النَّظَرَ، إِلَى نُدْرَةِ الدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيّةِ مُقَارَنةً بنَظِيرَاتِهَا البَلَاغِيَّةِ؛ إِذْ إِنَّ هُنَاكَ دِرَاسَةً لُغَوِيَّةً وَاحِدَةً بَينَهَا؛ مِمَّا يَعْكِسُ أَهَمِّيَّةَ الدِّرَاسَةِ الحَالِيَةِ، التِي تَأْتِي فِي إِطَارِ الدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ، وبخَاصَّةٍ إِطَارُ عِلْمِ اللُّغَةِ النَّصِّيِّ؛ لِذَا فَهِيَ تَسُدُّ ثَغْرَةً مُهِمَّةً فِي الدِّرَاسَاتِ السَّابقَةِ بدراسةِ السُّوَرَ السَّبع مُجْتَمِعَة فِي وَحْدَةٍ وَاحِدَةٍ.

١/٧- خُطَّةُ الدِّرَاسَةِ:

أَوَّلًا- مُقَدِّمَةُ الدِّرَاسَةِ: وفِيهَا عَرْضٌ لِإِشْكَالِيَّاتِها ومَنهَجِهَا، وأَهْدافِهَا، وأَهَمِّيَّتِهَا، والدِّرَاسَاتِ السَّابقَةِ، وخُطَّةِ الدِّرَاسَةِ.

ثَانيًا: التَّمْهِيدُ: وفِيهِ عَرْضٌ لمصْطَلَحِ (النَّصِّيَّةِ) وقَضَايَاهُ التَّنظِيريَّةِ(النَّصّ، التَّمَاسُك النَّصِّيّ بَينَ الاصطِلَاحِ والتَّطْوِيعِ).

ثَالِثًا: مَباحِثُ الدِّرَاسَةِ:

- **الـــمَبْحَثُ الأَوَّلُ:** الـــمُسَبّحَاتُ السَّبْعُ ومُوجِبَاتُ التَّسْبِيحِ(إِطْلَالَةٌ مَفَاهِيمِيَّةٌ مُوجَزَةٌ).
- **الـــمَبْحَثُ الثَّانِي:** مُوجِبَاتُ التَّسْبِيحِ والـــمُسَبّحَاتُ السَّبْعُ (إِطَارًا نَصِّيًّا تَطْبِيقِيًّا).

رَابِعًا: الخَاتِمَةُ: وفِيهَا بَيَانُ ما أَسْفَرَتْ عَنْهُ الدِّرَاسَةُ مِنْ نَتَائِجَ وتَوصِيَّاتٍ.

خَامِسًا: قائِمَةُ الـــمَصَادِرِ والـــمَرَاجِعِ.

ثَانيًا– التَّمْهِيدُ:

- **مُصْطَلَحُ (النَّصِّيّةِ)، وقَضَايَاهُ التَّنْظِيرِيَّةُ:**

يَحْسُنُ بِنَا أَنْ نُعَالِجَ الجَانِبَ الـــمُصْطَلَحِيَّ لـــمُصْطَلَحاتِ الدِّرَاسَةِ:(النَّصِّ، التَّمَاسُكِ النَّصِّيِّ)؛ لِبَيَانِ عَلَاقَاتِها الوَثِيقَةِ الصِّلَةِ بِبَعْضِهَا، وذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الآتِي:

١/٢– النَّصُّ: نَصَّ الشَّيءَ، لُغَةً، رَفَعَهُ وكُلُّ ما أُظْهِرَ فَقَدْ نَصَّ، ويُقَالُ: نَصَّتِ الظَّبْيَةُ جِيدَها: رَفَعَتْهُ، ونَصَصْتُ الـــمَتَاعَ جَعَلْتُ بَعْضَهُ عَلَى بَعضٍ[١]؛ وهوَ ما يَجعلُ التَّماسُكَ شَرْطًا في وُجُودِهِ، وقَدْ أَلـــمَحَ الشَّافِعِيُّ إِلَى مَفهُومِ النَّصِّ، اِصْطِلَاحًا، بما بَيَّنهُ القُرْآنُ الكَرِيمُ غَايَةَ البَيَانِ، فَلَمْ يَحتَجْ إِلَى تَنْزِيلِ غَيرِهِ مَعَهُ لِإِيْضَاحِهِ[٢]، والجُرجانيُّ أَكْثَرُ دِقَّةً في تَلمُّسِهِ مـــفْهُومَهُ بأَنَّهُ "ما ازدَادَ وُضُوحًا عَلَى الظَّاهِرِ لمعْنًى في الـــمُتَكَلِّمِ، وَهُوَ سَوْقُ الكَلَامِ لأَجْلِ ذَلِكَ الـــمَعْنَى"[٣]؛ وهَكذا تَعَدَّدَتْ تَعْرِيفَاتُ النَّصِّ في ضَوْءِ تَعَدُّدِ

١- يُرَاجَعُ، ابن منظور، لسان العرب، مادة: نَ صَ صَ ، والـــمعجم الوسيط، ٩٢٦/٢، مادة: نَ صَ صَ.

٢- يُرَاجَعُ، الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تَحْقِيقُ: عبد اللطيف الهميم، وماهر ياسين الفحل، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٥م، ٧٢.

٣- الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد، التعريفات، تقديم: أحمد مطلوب، دار الشُّؤون الثَّقافيَّة العامَّة، وزارة الثَّقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٦م، ١٣٢.

اتّجاهاتِ عُلَمَاءِ لُغَةِ النَّصِّ، وفي ضَوْءِ طَبِيعَةِ عَمَلِ الـمُحلِّلِ النَّصّيِّ؛ لِذَا يُؤَكِّدُ سَعِيد بحيريّ بِأَنَّ ثَمَّةَ اِختِلَافًا شَدِيدًا بَينَ تَعرِيفَاتِ النَّصِّ إِلَى حَدِّ التَّنَاقُضِ، والإبهامِ، لاختِلَافِ اتِّجاهَاتِ الباحِثِينَ في لُغَةِ النَّصِّ[١].

وأَتَّفِقُ مَعَ الرَّأْيِ القَائِلِ بِأَنَّ ثَمَّةَ تَعَدُّدًا مَلْحُوظًا في تَعرِيفاتِ النَّصِّ، مَرْجِعُهُ اِختِلَافِ وِجهَاتِ النَّظَرِ، وتبايُن الحقول الـمَعْرِفِيَّةِ؛ فاللُّغَوِيّ واللِّسَانِيُّ والنَّاقِدُ والـمُؤَرِّخُ والفَيلَسُوفُ والـمُفَسِّرُ واللَّاهوتيُّ، كلٌّ يتَنَاوَلُهُ مِنْ وِجْهَةِ النَّظَرِ التي تَتَنَاسَبُ وَحَقلَهُ الـمَعْرِفِيَّ الخَاصِّ بِهِ [٢].

ومِنْ أَشْهَرِ تَعرِيفَاتِهِ ما ذكَرَهُ دي بوجراند في كَونِهِ تَشْكِيلًا لُغَوِيًّا ذَا مَعنًى يستَهْدِفُ الاتِّصَالَ، معَ ضَرُورَةِ صُدُورِهِ عَن وَاحِدٍ في حُدُودٍ زَمنِيَّةٍ مُعيَّنةٍ، دونَ أنْ يتَألَّفَ بالضَّرُورَةِ منَ الجُمَلِ فَحَسبُ، بَلْ قَدْ يتَكوَّنُ من جُملٍ، أَو أَيَّة إشاراتٍ، تُحَقِّقُ الاتِّصالَ[٣]؛ لذا فلا يُمكِنُنَا وَصْفُ تعريفٍ بأَنَّهُ جامِعٌ مَـانِعٌ[٤]؛ لِذَا ينظرُ الـمُحلِّلُ النَّصّيُّ إِلَى الـمُدَوَّنَةِ التي يُحلِّلُها بوَصْفِهَا "كُلِّيَّةً مترابطةً الأَجْزَاءِ، فالجُمَلُ يتبَعُ بَعضُها بَعْضًا وَفقًا لنظَامٍ سَدِيدٍ؛ بِحَيْثُ تُسْهِمُ كُلُّ جُملَةٍ في فَهمِ الجُمْلَةِ التي تَلِيهَا فَهْمًا مَعْقُولًا، كمَا تُسْهِمُ الجُمْلَةُ التَّاليَةُ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى في فَهْمِ الجُمَلِ السَّابِقَةِ عَلَيهَا فهْمًا أَفْضَلَ"[٥]؛ فتَعَدُّدُ تَعْرِيفَاتِ النَّصِّ وتَنوُّعُها، لَيسَ بالضَّرُورَةِ أَنْ يَعْكِسَ اِضطِرَابَ الـمُصْطَلَحِ، بَلْ قَدْ يَعْكِسُ قَبُولَهُ في أَروِقَةِ الدَّرسِ اللُّغَوِيِّ، كَمَا يُؤَكِّدُ أَهَمِّيَّتَهُ ورُسُوخَهُ؛ وَهُوَ ما يَتَّفِقُ معَ رُؤيَةِ مُنظِّري الـمُصْطَلَحِ؛ حين يَرَونَهُ كَائِنًا حَيًّا يُولَدُ مُهتَمًّا بِهِ ومُحْتَفًى بِمِيلَادِهِ، بما يَعْكِسُ الحاجَةَ إِلَيهِ لِأُلْفَتِهِ لما هُوَ مُسْتَقِرٌّ وسَائِدٌ [٦].

٢/٢ – التَّمَاسُكُ النَّصِّيُّ بَينَ الاِصْطِلَاحِ والتَّطْوِيعِ:

يُشِيرُ مَفْهُومُ التَّمَاسُكِ، لُغَوِيًّا، إِلَى مُقَابِلِ التَّفَكُّكِ، وَتَرَابُطِ أَجْزَاءِ الشَّيءِ حِسِّيًّا أَو مَعْنَوِيًّا[٧]؛ لِذَا عَرَّفَهُ دِيقيد كارتر، اصطِلَاحِيًّا بِأَنَّهُ "العَلَاقَاتُ أَوِ الأَدَوَاتُ الشَّكْلِيَّةُ وَالدَّلَالِيَّةُ التي تُسْهِمُ في الرَّبطِ بينَ عَناصِرِ النَّصِّ

١- يُرَاجَعُ، بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص الـمفاهيم والاتجاهات، الشركة الـمصرية العالـمية للنشر لونجمان ، ط١ ، ١٩٩٧م، ١٠١ .

٢- يُرَاجَعُ، خمري، حُسَين، نظرية النص، من بنية الـمعنى إلى سيميائية الدال، ط١، الدار العربيّة للعلوم، ناشرون، بيروت، ٢٠٠٧م، ٣٥ .

٣- يُرَاجَعُ، أبو غزالة ، إلهام، علي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، الهيئة الـمصرية العامة للكتاب ، ط٢، ١٩٩٩م، ٩ .

٤- يُرَاجَعُ، عزام، محمد، النص الغائب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م،١٢ .

٥- العبد، محمد، اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط١، ١٩٨٩م،٣٦ .

٦- يُرَاجَعُ، يوسف، أحمد يوسف علي، دوائر النقد الأدبيّ،ط١، مَكْتَبَة الأنجلو الـمصرية، القاهرة، ١٩٨٩م، ١ .

٧- يُرَاجَعُ، ابن فارس، مقاييس اللغة، مجمع اللغة العربيّة، الـمعجم الوَسِيط، بطرس البستاني، محيط الـمحيط، مادة، م س ك .

الدَّاخِليَّةِ، وبينَ النَّصِّ والبيئَةِ الـمُحِيطَةِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى"[١]؛ لِذَا يَرَى هاليداي ورُقيَّةُ حَسَن أنَّهُ لا يُركِّزُ عَلَى مَاذَا يَعني، بِقَدْرِ تَركِيزِهِ عَلَى كَونِهِ صَرْحًا دَلَاليًّا مُتَمَاسِكًا[٢]؛ وهُوَ ما يُؤَكِّدُ التَّلَاحُمَ بَينَ الدَّرسَين: النَّصِّيِّ، والدِّلَالِيِّ، وعَدَمَ إمْكَانيَّةِ الفَصْلِ بينَ الدِّرَاسَتَين: النَّصِّيَّةِ والدِّلَالِيَّةِ؛ إذْ تَعْني الدَّلَالَةُ دِرَاسَةَ اللُّغَةِ "مِنْ زَاوِيةِ دَلَالَةِ مُكَوِّنَاتِها؛ أَيْ بِدِرَاسَةِ الـمَعْنَى؛ بِدَايَةً مِنَ الكَلِمَةِ الـمُفْرَدَةِ، فالتَّركِيبِ، فالأُسلُوبِ؛ حَتَّى تَنْتَهِيَ بِوَضْعِ نَظَرِيَّةٍ دَلَالِيَّةٍ"[٣].

ومِنْ ثَمَّ؛ يَرْتكِزُ الدَّرسُ النَّصِّيُّ حَوْلَ الـمَعْنَى الكُلِّيِّ للمُدَوَّناتِ الـمَدْرُوسَةِ؛ كَمَا تَرتَكِزُ الدَّلَالَةُ عَلَى العِنايَةِ بِهَذَا الـمَعْنَى؛ بالنَّظَرِ إِلَى الدَّلَالَةِ بِوَصْفِهَا عِلْمًا يَدرُسُ الـمَعْنَى، ونَظَرِيَّةَ الـمَعنَى، والشُّرُوطَ التي يَجِبُ تَوَافرُها في الرَّمْزِ لِيَقْدِرَ عَلَى حَملِ هذَا الـمَعنَى[٤]؛ لِذَا أَرَى أنَّ مَلَامِحَ الاضطِرابِ لَيسَتْ في الـمُصْطَلَحِ العَرَبيِّ، بَلْ في تَعَدُّدِ تَرجَمَاتِهِ؛ فَثمَّةَ تَبَايُنٌ بَينَ مُصْطَلَحَي (Coherence، Cohesion).وقَدْ بَدَا هَذَا التَّبايُنُ حَوْلَ هَذَينِ الـمُصْطَلَحَينِ في الأَدَبيَّاتِ؛ إذْ تَرجَمَ بَعْضُهم التَّمَاسُكَ إِلَى Cohesion لِيُشِيرَ إِلَى:(السَّبْكِ، أَوِ التَّضَامِّ، أَوِ التَّمَاسُكِ، أَوِ الرَّبْطِ النَّحْويِّ)، في حِينِ تَرْجَمَهُ آخَرُونَ إِلَىCoherence لِيُشِيرَ إِلَى:(الحَبْكِ، أَوِ الانْسِجَامِ، أَوِ التَّمَاسُكِ، أَوِ التَّناسُقِ، أَوِ الاتِّسَاقِ، أَوِ التَّقَارُنِ)؛ لِيُسفِرَ التَّبَايُنُ في التَّرجَمةِ إِلَى النَّظَرِ للمُصْطَلَحِ (Cohesion) بِوَصْفِهِ يُشِيرُ إِلَى الرَّوابِطِ الشَّكْلِيَّةِ، في حِينِ يُشِيرُ مُصْطَلَحُ (Coherence) إِلَى الرَّوَابِطِ الدِّلَالِيَّةِ[٥].

وتَأْسِيسًا عَلَى ما سَبَقَ؛ فَإِنَّ التَّمَاسُكَ بِمَعْنَى تَلَاحُمِ نُصُوصٍ مُتَبَاعِدَةٍ لَهُ طَبِيعَتُهُ الدِّلَالِيَّةُ؛ إذْ يَتَمَيَّزُ بِخَاصِيَّتِهِ الخَطِّيَّةِ التي تُعْنَى بالعَلَاقَاتِ بَينَ وَحْدَاتِهِ التَّعْبِيريَّةِ الـمُتَجَاوِرَةِ في الـمُتَتَالِيَةِ النَّصِّيَّةِ؛ لِذَا يَتَحَدَّدُ عَلَى"مُسْتَوَى الدَّلَالَاتِ عِندَمَا تَكُونُ العَلَاقَاتُ قَائِمَةً بَينَ الـمَفَاهِيمِ والذَّوَاتِ والـمُتَشَابِهَاتِ والـمُفَارَقَاتِ في الـمَجَالِ التَّصَوُّرِيِّ، كَمَا يَتَحَدَّدُ عَلَى مُسْتَوَى الـمَدْلُولَاتِ وما تُشِيرُ إِلَيهِ النُّصُوصُ مِنْ وَقَائِعَ وَحَالَاتٍ. وَتَكُونُ الـمُتَتَالِيَةُ مُتَمَاسِكَةً دَلَالِيًّا عِندَما تَقْبَلُ كُلُّ جُملَةٍ فِيهَا التَّفْسِيرَ والتَّأْوِيلَ في خَطٍّ دَاخِلِيٍّ، يُعَدُّ اِمتِدَادًا بالنِّسبَةِ لتَفسيرِ غَيرِها مِنَ العِبَاراتِ الـمَاثِلَةِ في الـمُتَتَالِيَةِ، أَوْ مِنَ

---

١ - يُرَاجَعُ، الفقي، صبحي، علم اللُّغة النَّصّيّ بين النَّظرية والتَّطبيق دراسة تطبيقيَّة على السُّوَر الـمكيَّة، ط١، دار قباء للطباعة، ٢٠٠٠م، ٩٦/١ .

٢ - يُرَاجَعُ، السَّابق، ٩٥ .

٣ - يُرَاجَعُ، خليل، حلمي، مقدمة لدراسة التُّراث الـمعجميّ العربيّ، ط١، دار النَّهضة العربيّة للطِّباعة والنَّشر، بيروت، د.ت، ٦٩.

٤ - يُرَاجَعُ، عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ط١، مَكْتَبَة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢م، ١١ .

٥ - يُرَاجَعُ، مصلوح، سعد، الاختلاف حَوْلَ هذه الـمسألة، نحو أجرومية للنص الشعريّ، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، العدد ا، يوليو وأغسطس، ١٩٩١م، ١٥٤وما بعدها، ويُرَاجَعُ، الفقي، صبحي، علم اللغةِ النصيّ، ٩٤-٩٥

الجُمَلِ الـــمـــُحَدَّدَةِ الـــمـــُتضمَّنَةِ فِيهَا"(١)؛ فَلِلجَانبِ الدِّلَالِيِّ دَورٌ فَاعِلٌ فِي اِستِكْشَافِ آليَّاتِ التَّمَاسُكِ النَّصّيِّ دَاخِلَ النُّصُوصِ، وإِنْ تَباعَدَتْ؛ فَالتَّمَاسُكَ مَقْرُونٌ بقِيامِ العَلَاقَاتِ بَينَ الـــمـــفاهِيم والذَّواتِ والـــمُــتشَابِهَاتِ والـــمُــفارَقَاتِ، لَيسَ هَذَا فَحَسْبُ، بَلْ إِنَّهُ قَدِ اشترَطَ لوقوُعِ التَّمَاسُكِ قَبُولَ الجُمَلِ للتَّفسيرِ والتَّأويلِ عَلَى امتِدَادِ النَّصِّ، عَلَى مُستَوَى فَضَاءٍ قَدْ يَكُونُ أَوْسَعَ مِنْ فَضَاءِ النَّصِّ الوَاحِدِ؛ فالتَّمَاسُكُ النَّصّيُّ الدِّلَالِيُّ، إذًا، يُعْنَى بآليَّاتِ التَّرابُطِ والتَّلَاحُمِ والاتِّسَاقِ والتَّنَاغُمِ بَينَ مُستَويَاتِ التَّحْلِيلِ اللُّغَويِّ الـــمــَعْهُودَةِ، ولَا يَدْرسُ أَحدٌ هَذِهِ الـــمـــُستويَاتِ بمَعْزِلٍ عَنِ الآخَرِ، بَلْ يتجَاوَزُ حُدُودَ الرَّبطِ، بمَفْهُومِهِ الـــمَـــادِّيِّ القَائِمِ عَلَى وُجُودِ الأَدَواتِ الرَّابِطَةِ، إِلَى الكَشْفِ عَنِ العَلَاقَاتِ الكَامِنَةِ بَينَ مُكوِّناتِ النُّصُوصِ عَلَى امتِدَادَاتِها فِي عَالـــَمـــِهَا النَّصِّيِّ؛ لِذَا لا يُمكِنُ لِلاتِّسَاقِ اللُّغَويِّ عَزْلُ أَحَدِ مُستَويَاتِ النَّشَاطِ اللُّغَويَّةِ عَنْ غَيرِهِ؛ لأَنَّهُ لَا صِحَّةَ للأَدَاءِ اللُّغَويِّ مَعَ فُقْدَانِ صِحَّةِ أَيٍّ مِنَ المـــُستَوَيَاتِ الخَمْسِ المعْرُوفَةِ(٢).

فِي ضَوْءِ ما تَقَدَّمَ؛ فَقَدْ أَمْسَى التَّكامُلُ بَينَ التَّحْلِيلِ اللُّغَويِّ بمُسْتَوياتِهِ الـــمَـــعهُودَةِ، والتَّحْلِيلِ النَّصّيِّ بآليَّاتِهِ ضَرُورَةً للمُحَلِّلِ النَّصِّيِّ؛ نَظَرًا لِأَهَمِّيَّةِ التَّرابُطِ والتَّلَاحُمِ" بَدْءًا بالرَّبطِ بَينَ الـــمـــُستَويَاتِ اللُّغَويَّةِ الـــمُـــختَلِفَةِ فِي النَّصِّ الوَاحِدِ، فَكَانَ هَذَا الإصرَارُ مِنْ نُحاةِ النَّصِّ عَلَى رَفْضِ الفَصْلِ بَينَ الـــمُـــستويَاتِ اللُّغَويَّةِ، فَظَهَرَ أَنَّ مِنْ أَهَمِّ مَلَامِحِ نحوِ النَّصِّ دِراسَةَ الرَّوابِطِ، مَعَ التَّأْكِيدِ عَلَى الـــمَـــزْجِ بَينَ الـــمـــُستويَاتِ اللُّغَويَّةِ الـــمُـــختَلِفَةِ، وكُلُّ هَذَا يُؤدِّي إِلَى الاتِّسَاقِ الذي يَتَّضِحُ فِي تِلْكَ النَّظْرَةِ الكُلِّيَّةِ إِلَى النَّصِّ دُونَ فَصْلٍ بَينَ أَجْزَائِهِ" (٣).

تُفَسِّرُ هَذِهِ الرُّؤيَةُ التَّكَامُلِيَّةُ انتِقَادَ دِي بُوجْرَاند لِعَدَمِ التِفَاتِ البَاحِثِينَ إِلَى "الارتِبَاطِ الـــمَـــلْحُوظِ" الذي مِنْ شَأْنهِ أَنْ يَجعَلَ الرَّوَابطَ اللَّفْظِيَّةَ نَافِعَةً؛ فَقَد:" اُستُعْمِلَتْ فِكْرَةُ السَّبْكِ cohesion لَدَى بَعْضِ البَاحِثِينَ لِوَسَائِلَ مِثْلِ الضَّمِيرِيَّةِ، والإِبدَالِ، والحَذْفِ، وفِي الغَالِبِ لا يُعطِي كَبيرَ انتِباهٍ للارتِبَاطِ الـــمَلْحُوظِ "غَيرِ الـــمَـــلفُوظِ" لِلمَعْلُوماتِ فِي النَّصِّ، وكَذَلِكَ لـــمَعْرِفَةِ العَالَـــمِـــ التي تُصْبِحُ بِهَا هَذِهِ الوَسَائِلُ مُمْكِنَةً وَنَافِعَةً"(٤)؛ وبِذَا نُعْلِي مِنْ شَأْنِ الجَانِبِ الـــمـــَعْنَوِيِّ فِي الكَشْفِ عَنْ آليَّاتِ التَّماسُكِ النَّصِّيِّ، وتُجَاوِزُ مَرْحَلَةَ الاكتِفَاءِ بدِرَاسَةِ الرَّوابطِ اللَّفْظِيَّةِ؛ فَعَلَى الـــمـــُحلِّلِ النَّصّيِّ، إذًا، أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى العَلَاقَاتِ اللَّفْظِيَّةِ

١ - فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النصِّ، الـــمـــجلس الوطني للثَّقافة والفنون والآداب، الكويت، عالـــمـــ الـــمـــعرفة، ١٦٤، أغسطس١٩٩٢، ٢٥٤

٢ - أبو الـــمـــكارم، علي، الظَّواهر اللُّغَويَّة في التُّراث النَّحويّ "الظواهر التركيبيَّة"،ط١، القاهرة الحديثة للطباعة، ١٩٦٨م، ٣٢٥.

٣ - عفيفي أحمد، نحو النَّصِّ، اتجاه جديد في الدَّرس النّحويّ، ط١، مَكْتَبَة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م، ٩٥ .

٤ - دي بوجراند، روبرت، النصّ والخِطاب والإجراءُ، ترجمة: تمام حسان، ط١ ، عالـــمـــ الكتب القاهرة، ١٩٩٨م ، ٢٩٩.

جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ مَعَ العَلَاقَاتِ الـــمَعْنَوِيَّةِ الكَامِنَةِ خَلْفَ الـــمُفْرَدَاتِ والتَّراكيب، وَهُوَ ما أَكَّدَهُ براون حِينَ رَأَى أَنَّ:"الرَّبْطَ بالأَدَوَاتِ لَا يَكْفِي لِلتَّمَاسُكِ النَّصِّيِّ، وَأَنَّ البَحْثَ عَنِ العَلَاقَاتِ الـــمَعْنَوِيَّةِ الضِّمْنِيَّةِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هُوَ الأَصْلَ"(١).

إِذًا؛ فالتَّمَاسُكُ النَّصِّيُّ ذُو الطَّبِيعَةِ الدِّلَالِيَّةِ تَماسُكٌ قَائِمٌ عَلَى "وُجُودِ عَلَاقَةٍ بينَ أَجْزَاءِ النَّصِّ، أو جُمَلِ النَّصِّ، أَو فِقرَاتِهِ، لَفْظِيَّةً أَوْ مَعْنَوِيَّةً، وكِلَاهُما يُؤَدِّي دَورًا تَفْسِيرِيًّا؛ لأَنَّ هَذِهِ العَلَاقَةَ مُفِيدَةٌ في تَفْسِيرِ النَّصِّ"(٢)؛ وبذَا فَإِنَّ أَقْرَبَ الـــمَفَاهِيمِ لِمُصْطَلَحِ التَّمَاسُكِ النَّصِّيِّ؛ وَفْقًا لِغَايَاتِ الدِّرَاسَةِ الحَالِيَةِ وأَهْدَافِها، تَتَمَثَّلُ في النَّظَرِ إليهِ؛ بِوَصْفِهِ "ظَاهِرَةً تَأْوِيلِيَّةً دِينَامِيَّةً مِنَ الفَهْمِ الـــمَعْرِفِيِّ، تَدْخُلُ فِيهَا أَنْوَاعٌ عَدِيدَةٌ مِنَ الـــمَعَارِفِ الذَّاتِيَّةِ، وَهُوَ لَيسَ مُجرَّدَ خَاصِيَّةٍ تَجرِيدِيَّةٍ لِلأَقْوالِ يَنْبَغِي أَنْ تُعَالِجَهَا في عِلْمِ الدَّلَالَةِ، أَوْ نَظَرِيَّةِ الخِطَابِ، أَوْ نَحوِ النَّصِّ، وَهُوَ لَيسَ مُجرَّدَ نَوعٍ مِنَ الظَوَاهِرِ الـــمَوضُوعِيَّةِ لِلقَوْلِ فَحَسْبُ، بَلْ هُوَ تَماسُكٌ وَظِيفِيٌّ لأَسْبَابِ إِستراتِيجِيَّةِ القَولِ الدِّلَالِيَّةِ وَالتَّدَاوُلِيَّةِ"(٣) .

وتَتَّسِقُ هَذِهِ الطَّبِيعَةُ التَّأْوِيلِيَّةُ الدِّينَامِيَّةُ، مَعَ طبيعَةِ اشتِمالِ الـــمُدَوَّنَةِ الـــمَدْرُوسَةِ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ سُورَةٍ قُرْآنِيَّةٍ في آنٍ؛ إِذْ يَتَطَلَّبُ الأَمْرُ التَّحَرُّكَ عَلَى الـــمُسْتَوَى الأُفُقِيِّ للآياتِ بَينَ أَكْثَرَ مِنْ سُورَةٍ في آنٍ، وَيُقْصَدُ بِتَدَاخُلِ الـــمَعَارِفِ الـــمُشَارِ إِلَيهِ في الـــمَفْهُومِ السَّابِقِ لِلتَّمَاسُكِ ضَرُورَةُ اِسْتِعَانَتِنَا بِأَكْثَرَ مِنْ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ الـــمَعْرِفَةِ؛ كَالـــمَعَاجِمِ، وكُتُبِ التَّفَاسِيرِ، واللُّغَةِ، والبَلَاغَةِ، والنَّقْدِ، والاِسْتِعَانَةِ بِآلِيَّاتِ التَّحْلِيلِ النَّصِّيِّ، ونَظَرِيَّاتِ تَحلِيلِ الخِطَابِ.

١- ج.ب. براون .ج . يول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطيّ، منير التريكيّ، جامعة الـــملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م، ٢٢٩.

٢- عفيفي، أحمد، نحو النص، ٩٨ .

٣- بحيري، علم لغة النص الـــمفاهيم والاتجاهات، ٣٠٩.

ثَالثًا: مَبَاحِثُ الدِّرَاسَةِ:

الـــمَبْحَثُ الأَوَّلُ:

الـــمُسَبِّحاتُ السَّبْعِ ومُوجِبَاتُ التَّسْبيحِ (إِطْلَالَةٌ مَفاهِيمِيَّةٌ مُوجَزَةٌ)

– **مُصْطَلَحُ الـــمُـــسَبِّحَاتِ:** قِيلَ: الـــمُـــسَبِّحَاتُ بِكَسْرِ البَاءِ نِسْبَةٌ مَجازِيَّةٌ[١]، وَهُوَ لفْظٌ مَأخُوذٌ مِنَ التَّسْبِيحِ؛ أَيِ التَّنْزِيهِ؛ فَقَولُهُم: سُبْحَانَ اللهِ، تَنْزِيهٌ للهِ ﷻ عَنْ كُلِّ ما لَا يَنْبغِي أَنْ يُوصَفَ بِهِ[٢]، والتَّسْبِيحُ: تَنْزِيهٌ للهِ ﷻ عَنْ كُلِّ سُوءٍ، والتَّنْزِيه: التَّبعيدُ. تَقُولُ العَرَبُ: سُبْحَانَهُ مِن كِذَا؛ أَيْ ما أَبعَدَهُ عنْهُ[٣].ومعَ كَونِ الـــمَـــعنى اللُّغَوِيِّ للَفظِ (التَّسْبِيحِ) يَدُورُ فِي فَلَكِ الدَّلَالَةِ عَلَى الثَّنَاءِ؛ فَقَدْ طَالعْتُ فِقْرَةً لَدَى الزَّرْكَشِيِّ غَدَتْ دَافِعِي الأَوَّلَ إِلَى دِراسَةِ هَذِهِ السُّوَرِ السَّبْعِ فِي ضَوْءِ مُعْطَيَاتِ عِلْمِ اللُّغَةِ النَّصِّيِّ، ذَلِكَ العِلْمُ الذي يَنْهَضُ لِاسْتِكْشَافِ آلِيَّاتِ التَّمَاسُكِ النَّصِّيِّ دَاخلَ النُّصُوصِ، بَلْ بَينَ النُّصُوصِ وَبَعْضِها، حَتَّى وإِنْ تَبَاعَدَتْ.

وأَعني بِفقْرَةِ الزَّرْكَشِيِّ (ت ٧٩٤هـــ) قَولُهُ:" الثَّنَاءُ قِسْمَانِ: إِثْباتٌ لِصِفَاتِ الـــمَـــدْحِ، ونَفيٌ وتَنْزِيهٌ مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ والإِثْبَاتِ، نَحْوَ:(الحَمْدُ للهِ) فِي خَمْسِ سُوَرٍ، أَو (تَبَارَكَ) فِي سُورَتينِ: (الفُرْقَانِ، والـــمُـــلْكِ)، والتَّنْزِيهُ نَحْوَ:﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ۝١ ﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ] ،﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾[سُورَةُ الأَعْلَى] ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ ﴾ [سُورَةُ الحَدِيدِ]، وتَكَرَّرتْ فِي الآيَةِ الأُولَى مِنْ سُورَةِ الصَّفِّ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ [سُورَةُ التَّغَابُنِ]، ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ

١- يُرَاجَعُ، الـــمباركفوريّ ، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذيّ في شرح جامع الترمذي، تَحْقِيقُ: رائد بن صبري بن أبي علفة، بيت الأفكار الدَّوليَّة، عمان والرّياض، د.ت، ٢١٦٢/١ .

٢- يُرَاجَعُ، ابن منظور(ت٧١١هـ)، جمال الدِّين بن مكرم الأنصاريّ، لسان العرب، ط٣، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ٢٠٠٠م، مادة:(سبح) .

٣- يُرَاجَعُ، ابن فارس، أبو الحُسَين أحمد، مقاييس اللُّغَةِ، تَحْقِيقُ: عبد السَّلام هارون، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، مادة: (سبح)، ويُرَاجَعُ، الأصفهاني، أبو القاسم الحُسَين بن محمد، الـــمفردات في غريب القرآنِ، مَكْتَبَة نزار مصطفى الباز، القاهرة، د.ت، مادة: (سبح) .

ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [سُورَةُ الجُمُعَةِ].وكُلُّهم في سَبعِ سُورٍ؛ فهَذِهِ أَربعَ عَشْرَةَ سُورَةً، اُستُفتِحَتْ بالثَّنَاءِ عَلَى اللهِ، نصْفُهَا لثبُوتِ صِفَاتِ الكمَالِ، وَنصْفُهَا لِسَلْبِ النَّقَائِصِ"[1].

وَمِنْ ثَمَّ؛ فَقَدْ قَدَّمَ الزَّرْكَشِيُّ تَفسيرًا دَلَالِيًّا جَمَالِيًّا لأَلْفَاظِ التَّسْبِيحِ التي جَاءَتْ في مُسْتَهَلِّ سُوَرِ الـمُسَبِّحَاتِ السَّبْعِ؛ حَيثُ قَالَ: إِنَّ البِدَايَةَ كَانَتْ "بالـمَصْدَرِ مِنهَا﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ في بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لِأَنَّها الأَصْلُ، ثُمَّ الـمَاضِي ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ ﴾، في الحَدِيدِ والحَشْرِ والصَّفِّ؛ لِأَنَّهُ أَسْبَقُ الزَّمَانَين، ثُمَّ الـمُسْتَقْبَل في الجُمُعَةِ والتَّغَابُن﴿ يُسَبِّحُ ﴾ ، ثُمَّ الأمْرِ في سُورَةِ الأَعْلَى؛ استِيعَابًا لهَذِهِ الكَلِمَةِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا، وهِيَ أَربَعٌ: الـمَصْدَرُ، والـمَاضِي، والـمُسْتَقْبَلِ، والأَمْرِ الـمُخاطَب؛ فَهَذِهِ أُعْجُوبَةٌ وبُرْهَانٌ"[2].

ولَكِنَّني في هَذِهِ الدِّرَاسَةِ أُقَدِّمُ تَفسيرًا آخرَ لهَذَا التَّرتيب لأَلْفَاظِ التَّسْبِيحِ، في ضَوْءِ النَّظَرِ إِلَى سُوَرِ الـمُسَبِّحَاتِ؛ بوَصْفِهَا وَحدَةً نَصِّيَّةً كُبْرَى بما يَتَنَاسَقُ مَعَ مُعْطَيَاتِ الدَّرْسِ النَّصِّيِّ؛ إِذْ أَبدَأُ سُوَرَ الـمُسَبِّحَاتِ بسُورَةِ الإِسْرَاءِ التي بَدَأَتْ بلَفْظِ (سُبْحَانَ) الـمَصْدَر، في قَولِهِ تَعَالَى:﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴿١﴾ ﴾؛ فَجَاءَ لَفْظُ التَّسْبِيحِ بصِيغَةِ الـمَصْدَرِ مَقْرُونًا بذِكْرِ اللهِ ﷻ؛ أَيْ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ نَزَّهَ نَفْسَهُ بنَفْسِهِ بصِيغَةِ الـمَصْدَرِ التي تُعَدُّ، في عُرْفِ النُّحَاةِ واللُّغَوِيِّينَ، أَصْلَ الاِشْتِقَاق، ثُمَّ جَاءَ التَّعبيرُ عَنِ التَّسْبِيحِ بلَفْظِ الـمَاضِي ﴿ سَبَّحَ ﴾، الـمَقْرُونِ بذِكْرِ جَمِيعِ الـمَخْلُوقَاتِ؛ العَاقِلِ مِنهَا، وَغَيرِ العَاقِلِ ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾، ثُمَّ جَاءَ التَّعبيرُ عَنِ التَّسْبِيحِ بلفظِ الـمُضَارِعِ (يُسَبِّحُ)، الـمَقْرُونِ، أَيْضًا، بذِكْرِجَمِيعِ الـمَخْلُوقَاتِ، وخُتِمَتْ سُورُ الـمُسَبِّحَاتِ في آخِرِ سُورَةٍ منها؛ وهِيَ الأَعْلَى، بالاستِهْلَالِ بصِيغَةِ الأَمْرِ (سَبِّحْ)، لَكِنْ جاءَ فِعْلُ الأَمرِ مُوجَّهًا إِلَى الإِنْسَانِ مُطْلَقًا، والأَمْرُ يَعْكِسُ الدَّلَالَةَ عَلَى الاِسْتِقْبَال.

ويُمكِنُنَا القَولُ: تُوَجِّهُ فِكْرَةُ التَّسْبِيحِ، في سُوَرِ الـمُسَبِّحَاتِ، رِسَالَةً نَصِّيَّةً وَاحِدةً مُتَّصِلَةً مُتَكَامِلَةً مِنَ اللهِ ﷻ إِلَى الإِنْسَانِ، مِنْ أَوَّلِ سُورَةٍ مِنْهَا إِلَى آخِرِ سُورَةٍ فيها، مَفَادُها:أَنَّ اللهَ سُبْحَانَه وَتَعَالَى، قَدْ جَعَلَ التَّسْبِيحَ دَيدَنَ مَنْ خَلَقَ، وما خَلَقَ، مُنذُ أَنْ أَثنَى عَلَى نَفْسِهِ بنَفْسِهِ بصِيغَةِ الـمَصْدَرِ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾وَهُوَ

١- الزَّرْكَشِيّ (ت٧٩٤هـ)، محمد بن عبد الله، البُرْهَان في علوم القرآن، تَحْقِيقُ: أبو الفضل إبراهيم، ط١،دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢م،١/١٦٥.

٢- السَّابق، ١/١٦٥ .

الأَصْلُ. وَصِيغَةُ الـــمَصْدَرِ لا تدُلُّ عَلَى الاقترانِ بزَمَنٍ؛ فاللهُ ﷻ هُوَ الـــمُـــترَّهُ لِذَاتِهِ وبِذَاتِهِ دُونَ الاقترانِ بِزَمَنٍ مُحدَّدٍ.

وَمِنْ ثَمَّ؛ فَالتَّسْبِيحُ فِطْرَةٌ لَدَى كُلِّ ما خَلَقَ اللهُ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ في جَمِيعِ الأوقاتِ، فِيمَا مضَى مِنَ الزَّمَانِ، ثُمَّ الزَّمَانِ الحالي؛ وَهُوَ الـــمُضَارِعُ؛ لِذَا جَاءَ الختامُ بصِيغَةِ الأَمْرِ الـــمُوَجَّهِ إِلَى الإِنْسَانِ بِأَنْ يَلْزَمَ الثَّنَاءَ عَلَى اللهِ بالتَّسْبِيحِ فيمَا يَأْتِي مِنَ الزَّمَانِ؛ لِيَظَلَّ تَسْبِيحُهُ وتزيهُهُ أَبَدَ الدَّهْرِ؛ فَالأَمرُ تَكْلِيفٌ، والتَكْلِيفُ مِنْهُ ﷻ تَكْرِيمٌ وتَشْرِيفٌ؛ وَهُوَ ما يَتَّسِقُ مَعَ مَكَانَةِ الإِنْسَانِ؛ بوَصْفِهِ خَلِيفَةَ اللهِ في الأَرْضِ؛ فَهُو يَأْتِي الفِعْلَ بتَكْلِيفٍ مِنْ رَبِّهِ، لَا عَنْ فِطْرَةٍ جُبِلَ عَلَيهَا؛ وَهُوَ ما يَسْتَدْعِي إذعَانَ الإِنْسَانِ لِأَمْرِ رَبِّهِ، إِذْ يَجِيءُ عَنْ مُكَابَدَةٍ والْتِزَامٍ، لَا عنْ فِطْرَةٍ واعتيادٍ، وكَأَنَّها رِسَالَةٌ نَصِّيَّةٌ إِلَى الإِنْسَانِ مِنْ رَبِّهِ: أَيُّهَا الإِنْسَانُ، لَقَدْ أَثْنَيْتُ عَلَى نَفْسِي، وأَثْنَانِي جَمِيعُ مَنْ خَلَقْتُ في السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، ومازالُوا يُثْنُونَ عَلَيَّ، فَالْزَمْ أَنْتَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ هَذَا الثَّنَاءَ.

- **القَضَايَا التَّنْظِيرِيَّةُ الـــمُـــرْتَبِطَةُ بِسُوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ:**

ثَمَّةَ قَضَايَا تَنْظِيرِيَّةٌ يجبُ أَنْ نَكْتَفِيَ بالإشارَةِ إليهَا لاستِيفَاءِ أَرْكَانِ البَحْثِ، وبَيَانِ ما تُقَدِّمُهُ الدِّرَاسَةُ الحَالِيَةُ حَوْلَها؛ بوَصْفِهَا دِرَاسَةً نَصِّيَّةً للسُّورِ السَّبعِ؛ نَظَرًا لِكَونِ الدِّرَاسَاتِ السَّابقةَ قدْ أَفْرَدَتِ القَولَ فيهَا؛ وَمِنْهَا:

– **عَدَدُ سُوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ:** مِنَ الـــمُـــتَعَارَفِ عَلَيهِ لَدَى بَعْضِ العُلَمَاءِ والـــمُـــفَسِّرِينَ أَنَّها سَبعُ سُوَرٍ؛ هِيَ: "الإِسْرَاءُ، والحَدِيدُ، والحَشْرُ، والصَّفُّ، والجُمُعَةُ، والتَّغَابُنُ، والأَعْلَى"، ومِنْ هَؤُلَاءِ القَارِي (٥٢٠٤)؛ لِقَولِهِ:" هِيَ سَبعُ سُوَرٍ: بَنُو إِسرَائِيلَ؛ يَقْصِدُ الإِسْرَاءَ، والحَدِيدُ، والحَشْرُ، والصَّفُّ، والجُمُعَةُ، والتَّغَابُنُ، والأَعْلَى"[1].وهُنَاكَ مَنْ جَعَلَهَا سِتَّ سُوَرٍ فَحَسْبُ؛ لأَنَّهُم اِسْتَبْعَدُوا سُورَةَ الإِسْرَاءِ، وَحُجَّتُهُم أَنَّهَا مِنَ السُّوَرِ "الـــمِـــئِينَ"، عَلَى تَقْسِيمِ سُوَرِ القُرْآنِ إِلَى طُوالٍ ومِئِينَ، ومَثَانِي ومُفَصَّلٍ[2]، ومِنهُم مَنْ عَدَّها

١- الهارنوفوريّ، خليل بن أحمد، بَذْلُ الـــمَجْهُودِ في حَلِّ أبي داوودَ، تعليقُ: محمد زكريَّا الكاندهلويّ، الـــمَكْتَبَة الإمداديَّة، ط٣، ١٤٠٤هـــ، ٢٩٢/١٩. ويُرَاجَعُ، آباديّ، محمد شمس الحقّ، عَونُ الـــمعبودِ شرحُ سُنن أبي داوودَ، تَحْقِيقُ: عبد الرَّحمن عثمان ط٢، النَّاشِرُ: محمد الكليّ، ١٣٨٩هـــ، ٣٩٦/١٣ .

٢- للمزيدِ: يُرَاجَعُ، الدَّارميّ، سنن الدارميّ، تَحقِيقُ: حُسَين الدارانيّ، ط١،دار الـــمغني للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، ١٤٢١هـ،٢١٥٣/١، ويُرَاجَعُ، الزَّرْكَشِيّ، البُرْهَان في علوم القرآن، ١٦٥/١ .

سِتًّا بِاسْتِبعَادِ سُورَةِ الأَعْلَى؛ لِكَونِها بَدَأَتْ بالأَمْرِ (سَبِّحْ)[1]. ومَنْ عَدَّها خَمْسًا؛ كَالقُرْطُبِيِّ، وابنِ كَثِيرٍ، والشَّوكَانِيِّ؛ لِاستبْعَادِهم سُورَتي: الإِسْرَاءِ والأَعْلَى؛ لِتَفْرِيقِهِم بَينَ الـــمَكِّيِّ مِنهَا والــمَدَنِيِّ[2].

ولَا تَلْتَفِتُ دِرَاسَتُنَا إِلَى اختِلَافِهِم في العَدَدِ؛لاعتِمَادِ مُعْطَيَاتِ الدَّرْسِ النَّصّيّ عَلَى الجَانِبِ الـــمَــوضُوعِيُّ في هَذِهِ السُّوَرِ، وقَدْ بَدَأَتْ آيَاتُهَا بأَلْفَاظِ التَّسْبيحِ، كَمَا أَنَّ اِسْتِكْشَافَنَا آلِيَّاتِ التَّمَاسُكِ النَّصِّيِّ فِيمَا بَينَهَا سيَكُونُ في ظِلِّ وُجُودِ الرَّوَابِطِ النَّصِّيَّةِ التي تَرْبِطُ بَينَها؛ الأَمْرُ الَّذي يَجْعَلُنَا نَنْظُرُ إِلَى سُوَرِ الــمُـــسَبِّحَاتِ؛ بِوَصْفِهَا وَحْدَةً نَصِّيَّةً كُبْرَى، يَبْلُغُ إِجمَالِي عَدَدِ آيَاتِهَا مائتَينَ وستًّا وعِشْرينَ آيَةً؛ مُوزَّعَةً عَلَى النَّحْوِ الآتِي؛ مِنْهَا:(مَائَةٌ وَإِحدَى عَشْرةَ آيَةً) في سُورَةِ الإِسْرَاءِ، (وتِسْعٌ وعِشْرُونَ آيَةً) في سُورةِ الحَدِيدِ، (وأَرْبَعٌ وعِشْرُونَ) آيةً في سُورَةِ الصَّفِّ، وَ(إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً) في سُورَةِ الجُمُعَةِ، (وثَمَانِيَ عَشْرَةَ آيَةً) في سُورَة التَّغَابُنِ، بالإِضَافَةِ إِلَى (تِسْعَ عَشْرَةَ) آيَةً في سُورَةِ الأَعْلَى.

– **فَضَائِلُ سُوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ:** أَفَاضَ العُلَمَاءُ في ذِكْرِ فَضَائِلِ سُوَرِ الــمُـــسَبِّحَاتِ؛ مُستَشْهِدِينَ بما ذَكَرَهُ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم عَنْهَا، في أَحَادِيثَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْهَا، عَلَى سَبِيلِ الـــمِـــثَالِ لَا الحَصْرِ: ما وَرَدَ في مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ وغَيرِه:" حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بنُ الوَلِيدِ، حَدَّثَنِي بُحَيرُ بنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بنِ مَعْدَانَ، عَنْ أَبِي بِلَالٍ، عَنْ عرباضِ بنِ سَارِيَةَ، أَنَّهُ حَدَّثَهُم أَنَّ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقْرَأُ الــمُـــسَبِّحَاتِ قَبْلَ أَنْ يَرْقُدَ، ويَقُولُ:" إِنَّ فِيهِنَّ آيَةً أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ "[3].

١ - يُرَاجَعُ، الدَّارِميُّ، سُنن الدارميّ،٤/٢١٥١ .

٢- يُرَاجَعُ، القرطبيُّ (ت ٦٧١هــــ)، أبو عبد الله محمد بن أبي بكرٍ، الجامع لأحكام القرآن والـــمبين لما تضمَّنه من السُّنَّة وآي الفُرقان، تَحْقِيقُ: عبد الله التُّركيّ، ط١، ٢٠٠٦م، ٥/١٣، وابنُ كَثِيرٍ(ت٧٧٤هــــ)، إسماعيل بن عمر، تَفْسِير القرآنِ العظيمِ (تَفْسِير ابن كَثِيرٍ)، تَحْقِيقُ: سامي السَّلَامة، ط٢، ١٩٩٩م، ٣/٨٠١، والشوكانيّ، محمد بن علي، فَتْح القديرِ الجامع بين فنّي الرّواية والدِّراية من علم التَفْسيرِ، مَكْتَبَة الرُّشد، الرِّياض، ١٤٢٢هــــ، ١٧٠٢.

٣- ابن حَنبلٍ، أحمد، مسند الإمامِ أحمد، (الـــمــوسُوعة الحديثة)، أَشْرَفَ عَلَيهَا: عبد الله بن عبد الـــمحسنِ التركِيّ، إشرافِ: شُعَيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرِّسالةِ، بيروت،١٤٢٠هــــ، ٢٨/٣٩٢، ويُرَاجَعُ، السُّيوطيّ، جلال الدِّين، الإتقان في علوم القرآن، تَحْقِيقُ: شُعَيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٨م، ٧١٩، وابن سلام، أبو عُبيد القاسم، فضائل القرآنِ ومعالـــمــه وآدابه، تَحْقِيقُ: أحمد الخَيَّاطيّ، ط١، مطبعة فضالة، الـــمــغرب، ١٩٩٥م، ٢/٦، برقم ٤٨٩، ويُرَاجَعُ، البيهقيّ، أحمد بن الحُسَين، الجامع لشُعب الإيمان، تَحْقِيقُ: عبد العلي حامد، ط١، مَكْتَبَة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣م، ٤/١٢٢، برقم ٢٢٧٤،والتِّرمذِيّ، محمد بن عيسى بن سورة، سُنَن التِّرمذي، تَحْقِيقُ: إبراهيم عطوة عوض،ط٢، مطبعة الحلبيّ، القاهرة، ١٩٧٥م، ٥/١٨١ برقم ٢٩٢١ .

ذَكَرَ ابْن كَثِيرٍ أَنَّ الآيَةَ الـمُشَار إِلَيهَا، فِي الخَبَرِ السَّابِق، هِيَ قَولُ اللهِ تَعَالَى ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[سُورَةُ الحَدِيدِ].[1]، وَقَدْ أَتَى رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقالَ: أَقْرِئْنِي يا رَسُولَ اللهِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "اِقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ الَرَ"، فَقَالَ الرَّجُلُ: كَبرَ سِنِّي، واشْتَدَّ قَلْبِي، وغَلُظَ لِسَانِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "اِقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ حَمِ"؛ فَكَرَّرَ الرَّجُلُ مَقُولَتَهُ الأُولَى؛ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: "اِقْرَأْ ثَلَاثًا مِنَ الـمُسَبِّحَاتِ"[2].

يُمكِنُنَا، فِي ضَوْءِ ما تَقَدَّمَ، تَفْسِيرُ قَوْلِ عَلَمِ الدِّينِ السَّخَاوِيِّ (ت٦٤٣هـ) الآتِي: "فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ مَيَادِينُ، وبَسَاتِينُ، ومَقَاصِيرُ، وعَرَائِسُ، ودَيَابِيجُ، ورِيَاضٌ؛ فَمَيَادِينُهُ مَا افْتُتِحَ بِـ (الـمـ)، وبَسَاتِينُهُ مَا افْتُتِحَ بِـ (الـمـر)، ومَقَاصِيرُهُ الحَامِدَاتُ، وعَرَائِسُهُ الـمُسَبِّحَاتُ، ودَيَابِيجُهُ(آ لَ حَم)، ورِيَاضُهُ (الـمُفَصَّلُ)، وقَالُوا: (الطَّوَاسِيم، والطَّوَاسِينَ، و ا ل حَم) "[3]؛ ويَعْكِسُ لَفْظُ (عَرَائِس)الَّذي ذَكَرَهُ السَّخَاوِيُّ الدَّلَالَةَ عَلَى الجمَالِ، والبهَاءِ وحُسْنِ البِنْيَةِ، ولا شَكَّ أَنَّهُ مَعْنًى مَقْصُودٌ لِذَاتِهِ.

– الـمُنَاسَبَةُ بَينَ بِدَايَاتِ الـمُسَبِّحَاتِ وخَوَاتِيمِهَا فِي ضَوْءِ الـمِعْيَارِ النَّصِّيِّ:

السُّؤَالُ الذِي يَطْرَحُ ذَاتَهُ تَحتَ هَذَا العُنْوَانِ، هُوَ ما الجَدِيدُ الَّذي يُمكِنُ أَنْ تُقَدِّمَهُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ الحَالِيَةُ فِي أَمْرٍ يَتعلَّقُ بقَضِيَّةِ الـمُنَاسَبَةِ التي بَذَلَ فِيهَا العُلَمَاءُ قَدِيمًا وحَدِيثًا جُهُودًا مَشْهُودةً؟

يَجدُرُ بنَا، قَبلَ إجَابَةِ هَذَا السُّؤَالِ، أَنْ نُثْبِتَ للعُلَمَاءِ حَقَّهُم فِي هَذَا الجَانِبِ؛ فَقَدْ قَدَّمُوا تَفْسِيراتٍ ورُؤًى مُتَنَوِّعَةً[4] أَفادَتْ مِنهَا دِرَاسَتُنَا، لكِنَّ الدِّرَاسَةَ النَّصِّيّةَ تفتحُ البابَ أَمَامَنَا نحوَ جَانِبٍ آخَرَ منَ الـمُنَاسبةِ؛ هُوَ ما يُمكِنُ صَوغُهُ فِي السُّؤَالِ الآتِي:

١– يُرَاجَعُ، ابن كَثِيرٍ، عماد الدِّين إسماعيل، مختصر تَفْسِير ابن كَثِيرٍ، تَحْقِيقُ: محمد علي الصَّابُونيّ، دار التُّراث العربيّ،ط١، القاهرة، ١٩٨٧م، ٤٤٣.

٢– البيهقيّ، الجامع لشعب الإيمان، ١٢٧/٤، برقم ٢٢٨٢. ويُرَاجَعُ، السَّخَاوِيّ، علم الدِّين علي بن محمد (ت ٦٤٣هـ)، جمال القراء وكمال الإقراء، تَحْقِيقُ: علي حُسَين البوَّاب، مَكْتَبَة التُّراث، مكة الـمُكَرَّمَة، ٢٠٠٨م، ٧١.

٣– السَّخَاوِيّ، جمال القراء وكمال الإقراء، ٣٥ .

٤– يُرَاجَعُ، الأُلُوسيّ، شهاب الدِّين السَّيِّد مَحْمُود، روح الـمَعَاني في تَفْسِير القرآن والسَّبْع الـمَثَاني، ط١، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، د.ت، ٣٩/٢٨، والبقاعيّ، بُرْهَان الدِّين أبو الحَسَن، نظْم الدُّرر في تناسُب الآياتِ والسُّوَر، تَحْقِيقُ: عبد الرَّزَّاق الـمَهْدِيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ٤٧٣/٧، ٢٢/٨، ٨/ ٤٠٣، والثَّقَفِيّ، أحمد بن إبراهيم ، البُرْهَان في تناسُبِ سورِ القُرآنِ، تَحْقِيقُ: سعيد التركي، ط١، دار ابن الجوزيّ، الدمام، ١٤٢٨هـ، ٤٦ .

لَمْ تَأتِ سُورُ الـمُسَبِّحَاتِ مُتوَالِيةً فِي النَّصِّ القُرْآنيّ؛ شَأْنُها شَأْنُ الطُّوَاسِينَ والحَوَامِيمِ، وإنَّما جَاءَتْ مَفْصُولَةً بسُوَرٍ غَيرِ مُفْتَتَحَةٍ بالتَّسْبِيحِ؛ فَلِمَ كَانَتْ بِدَايَةُ سُوَرِ الـمُسَبِّحَاتِ بسُورَةِ الإِسْرَاءِ؟ ولِمَ كَانَ آخِرُها سُورَةَ الأَعْلَى؟

ولإِجَابَةِ هَذِينِ السُّؤَالَينِ الـمُتلاحِمَين، في ضَوْءِ قِراءَتِنَا النَّصِّيَّةِ، يَجبُ التِفَاتُنَا إِلَى العَناصِرِ الإِحَالِيَةِ الـمُرتَبِطَةِ بلَفْظَي التَّسْبِيحِ في مُسْتَهَلِّ كُلِّ سُورَةٍ مِنهُما، والـمَدَى الإِحَالِيّ، والـمَرْجِعيَّةِ الإِحَالِيَّةِ، وذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الآتِي:

أَوَّلًا: في سُورَةِ الإِسْرَاءِ: يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[سُورَةُ الإِسْرَاءِ]؛ فَلفْظُ التَّسْبِيحِ في هَذَا الـمَوضِعِ ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ تَلَاهُ العُنْصُرُ الإِحَالِي ﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾ الاسمُ الـمَوْصُولُ الَّذي يُحِيلُ الـمُتَلقِّيَ إِحَالَةً بَعْدِيَّةً ذَاتَ مَدًى قَرِيب؛ هِيَ الإِحَالَةُ إِلَى أَمْرٍ تَفَرَّدَ بِفِعْلِهِ رَبُّ العَالَمِينَ، لَمْ يُشَارِكْهُ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، ولَمْ يَخُصَّ أَحَدًا مِنْ عِبَادِهِ بالقُدْرَةِ عَلَيهِ، فَالإِحَالَةُ، هُنَا، إِلَى أَمْرٍ خَارِقٍ للعَادَةِ التي يَأْلَفُهَا العِبَادُ، ولا يَقْدِرُ عَلَيهَا سِوَى رَبِّ الأَرْبابِ ﷻ، وهِيَ الإِسْرَاءُ بالرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، في حَادِثَةٍ غَيرِ مَسْبُوقَةٍ في التَّارِيخِ الإِنسانيّ، وغَيرِ مَعْهُودَةٍ، ولا يَقْدِرُ عَلَيهَا غَيرُهُ، وَهُوَ الثَّابتُ بِقَولِهِ: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾.

ثَانِيًا: في سُورَةِ الأَعْلَى: يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[سُورَةُ الأَعْلَى]؛ فَقَدْ تَلَا لَفْظَ التَّسْبِيحِ في هَذَا الـمَوضِعِ (سَبِّحْ)، العُنصرُ الإِحَالِيُّ (الَّذِي) الاسمُ الـمَوْصُولُ الذي يُحِيلُ الـمُتلقِّيَ إِحَالَةً بَعْدِيَّةً ذَاتَ مَدًى قَرِيبٍ أَيْضًا، والإِحالةُ هُنَا إِلَى أُمُورٍ تَفَرَّدَ بها الـمَولَى سُبْحَانَهُ، وهِيَ: القُدْرَةُ عَلَى الخَلْقِ مِنَ العَدَمِ، وتَسْوِيَةُ هَذِهِ الـمَخْلُوقَاتِ عَلَى أَتَمِّ صُورَةٍ، وتَقْدِيرُ أُمُورِ خَلْقِهِ وهِدَايَتِهِم، وإِخْرَاجُ الـمَرعَى؛ فَكُلُّهَا أُمُورٌ يَتَفَرَّدُ بِهَا الخَالِقُ وَحْدَهُ.

ومِنْ ثَمَّ؛ فيَتَّضِحُ مَدَى الاتِّسَاقِ والتَّلَاحُمِ بَينَ السُّورَتَين؛ أَعْنِي الإِسْرَاءَ والأَعْلَى، مَعَ تَبَاعُدِهِما في الـمُصْحَفِ. لَكِنْ، يَظلُّ الارتباطُ بَينَهُما وَثِيقًا؛ وَفْقًا لِتِلْكَ القِرَاءَةِ ؛ فَلَيسَ مِنْ قَبِيلِ الـمُصَادَفَةِ أَنْ يَلِيَ

لَفظَ التَّسْبيحِ في السُّورَتَينِ عُنْصُرٌ إحَاليٌّ وَاحِدٌ، وَهُوَ (الَّذِي)، وأَنْ تكُونَ الإحالةُ بَعديَّةً ذَاتَ مَـدًى قَريب، وأَنْ تكُونَ الـمَـرْجعيَّةُ الإحَاليَّةُ إلَى أُمُورٍ لا يَقْدِرُ عَلَيها إلَّا مَنْ وَجَبَ لَهُ التَّسْبيحُ والتَّنزيهُ عَنْ كُلِّ نُقصَانٍ.

يَدْعَمُ صِحَّةَ التَّفسيرِ السَّابِقِ ما ذَكَرَهُ ابنُ عَاشُورٍ في تَفْسيرِهِ:" الافتِتَاحُ بكَلِمَةِ التَّسْبيحِ مِـنْ دُون كَلَامٍ مُتضَمِّنٌ ما يَجبُ تَنزيهُ اللهِ عَنهُ؛ يُؤْذِنُ بِأَنَّ خَبَرًا عَجيبًا يَسْتَقْبِلُهُ السَّامِعُونَ، دَالًّا عَلَى عَظِيمِ الـقُدْرَةِ مِـنَ الـمُـتَكَلِّم، ورَفِيعِ مَنزلَـةِ الـمُـتَحَدَّثِ عَنهُ"[1]؛ لِذَا أَتَّفِقُ مَعَ ما ذَكَرَهُ صُبحي الصَّالِح في هَذَا الصَّدَدِ حِينَ يرَى أَنَّ بَعضَ أَقوَالِ الـمُـفَسِّرِينَ قَدْ بَلَغَتْ حَدَّ التَّكَلُّفِ في اسْتِكْشَافِ أَبْعَادِ الـمُـنَاسَبَةِ بِأَشْكَالِها كَافَّةً[2]؛ فَقَدِ اهتَمُّوا بِهَذَا الجَانِب رُبَّما في بعضِ الأَحْيَانِ عَلَى حِسَابِ التَّفسيرِ ذَاتِهِ.

وَمِنْ هُنَا؛ تَتَجَلَّى، لَنَا، أَهَمِّيَّةُ القِرَاءَةِ النَّصِّيَّةِ في اسْتِكْشَافِ أَبْعَادِ الـمُـنَاسَبَةِ؛ إِذْ إِنَّهُ في ظِلِّ الـمَـعَايير النَّصّيّة لِلتَّمَاسُكِ النَّصّيّ يَكُونُ الاعتِمَادُ عَلَى عَناصِرَ لُغَوِيَّةٍ فِعْلِيَّةٍ، تَكْشِفُ أَبْعَادَ التَّمَاسُكِ النَّصّيّ، ولَيسَ لأُمُورٍ اعْتباريَّةٍ تَخضَعُ لِلتَّذَوُّق، أَوِ التَّوقُّعِ.

– القُرْآنُ: عَلَاقَةُ الـمُصْطَلَحِ بمنهاجيَّةِ البحثِ:

صَحِيحٌ أَنَّنَا قَدْ نَجدُ أَنَّ تَعْريفَ مُصْطَلَحِ القُرْآنِ مِنْ فُضُولِ البَحثِ هُنَا، ولَكِنَّنَا مِنْ وجْهَةِ نَظَرٍ أُخْرَى قَدْ نرَاهُ مُهِمًّا لِدَورِهِ في تَحدِيدِ العلاقةِ بينَ تَعريفِهِ وَمَفَاهِيمِ التَّماسُكِ النَّصِّي في بَحْثِنَا هَذَا؛ فَلَفْظُ (القُرْآنِ)، لُغَةً، مَأْخُوذٌ مِنَ الجِذرِ قَرَأَ، وَقَرَأَ الشَّيءَ قُرآنًا جَمعَهُ وضَمَّهُ، ومنْهُ سُمِّي؛ لأَنَّهُ يَضُمُّ السُّوَرَ ويَجمَعُهَا[3]، والـمَصْدَرُ هُوَ القُرْآنُ[4]، وتُشيرُ لَفْظَةُ (قَرَأَ)إلَى الدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى (تَلَا) مِنَ التِّلَاوَةِ، وهَذَا مَذْهَبُ الزَّمَخشَرِيّ في تَفسيرِ قَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝١٨ ﴾[سُورَةُ القِيامَةِ] [5]، ولكنَّ أَبَا البَقَاءِ

١– ابن عاشور، الطاهر، التَّحرير والتَّنوير، دار سحنون للنَّشر والتَّوزيع، تونس، د.ت، ٩/١٥ .

٢– يُرَاجَعُ، الصالح، صبحي، مباحث في علُومِ القُرآن، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ١٥٦.

٣– يُرَاجَعُ، الفراهيديّ، (ت ١٧٥ه)، الخليل بن أحمد، معجم العين، تَحْقِيقُ: مَهْدِيّ الـمـخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٧م، مادة (ق رأ)، وابن منظور، اللسان ٤٢/٣، والزّبيديّ، التاج ١٠١/١، والجوهريّ، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٨هـ)، الصِّحاح، تَحْقِيقُ: أحمد عبد الغفور ، دار الكتاب العربيّ، مصر، ١٩٥٦م، ٦٥/١، الفيروز آبادي(ت ٨١٧هـ)، محمد بن يعقوب، القاموس الـمـحيط، دار الفكر، بيروت ١٩٨٧م،٢٥/١، مادة (ق ر أ) ، وابن فارس، مقاييس اللغة، ٧٩/٥.

٤– يُرَاجَعُ، الجوهري الصحاح، مادة (قرأ) ، ويُرَاجَعُ، الفيروزآباديّ، القاموس الـمـحيط، مادة (قرأ).

٥– الزمخشريّ، مَحْمُود بن عمر، الكشَّاف عن حقائقِ غوامضِ التَّنزيل وعيون الأقاويلِ في وجوهِ التَّأويلِ، ط٣، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠٧هـ، ٦٦١/٤.

الكُوفيُّ يُؤكِّدُ أَنَّنا:" نُسَمِّي القُرْآنَ قُرآنًا؛ لأَنَّهُ يَجْمَعُ السُّوَرَ فَيضُمُّها"[١] ؛ وهو ما يُشِيرُ إليهِ مُصْطَلَحُ (القُرْآنِ) بأَنَّهُ" ما بينَ دفَّتِي الـمُصْحَفِ مِن كَلَامِ اللهِ "[٢]. وَهُوَ " اسمٌ للمَكْتُوبِ مِن كَلَامِ اللهِ بينَ الدَّفَّتين"[٣]، وهُوَ" كلَامُ اللهِ الَّذي نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عليه السلام، عَلَى قَلْبِ سيِّدِنا مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم "[٤]. وثَمَّةَ تَعْريفٌ دَقيقٌ هُوَ: "القُرْآن كَلَامُ اللهِ حَملَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام والصَّحَابَةُ، سَمِعُوهُ عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ الَّذي نَتْلُوهُ بِأَلسِنَتِنَا، وفيمَا بَينَ الدَّفَّتَينِ، وما في صُدُورِنَا مَسْمُوعًا، ومَكْتُوبًا، ومَحفُوظًا"[٥]؛ أَيْ إنَّهُ نَصٌّ مُتَمَاسِك.

المبحث الثاني: مُوجبَات التَّسْبِيحِ في الـمُسَبِّحَاتِ السبع (إطارا نصيا تطبيقيا):

تَنْهَضُ الدِّرَاسَةُ الحَالِيَةُ عَلَى رَكِيزةٍ نَصِّيَّةٍ؛ هِيَ: عَدُّ سُورِ الـمُسَبِّحَاتِ السَّبعِ، مَعَ تبَاعُدِها في الـمُصْحَفِ، وَحْدَةٌ نَصِّيَّةٌ كُبْرَى، يَبلغُ عَدَدُ آيَاتِها مَائِتينِ وَسِتًّا وعِشْرينَ آيَةً؛ فَيُمْكِنُنَا القَولُ: إنَّ ثَمَّةَ اتِّسَاعِيَّةً في النَّظْرَةِ إِلَى تِلْكَ السُّوَرِ تَتَّسِقُ مَعَ مَبَادئِ التَّحْلِيلِ النَّصّيِّ، الَّذي تَتَطَلَّبُ طَبيعتُهُ الاتِّسَاعَ في أَدَوَاتِ التَّحْلِيلِ ووَسَائِلِهِ، والانْتِقَالَ باللِّسَانيَّاتِ العَرَبِيَّةِ مِنْ أَسوَارِ الجُملَةِ إِلَى الكَلَامِ؛ لِيَستَطِيعَ الـمُحلِّلُ النَّصّيُّ مُحاصَرَةَ النَّصِّ وَوَصْفَهُ، والكَشْفَ عنِ العَلَاقَاتِ التي تَتَحقَّقُ بها نَصِّيَّةُ النَّصِّ بما هُوَ حَدَثٌ تَوَاصُلِيٌّ مُرَكّبٌ[٦]؛لِذَا نَرَى أَنَّ التَّحْلِيلَ الـمَعْهُودَ عَلَى مُستَوَى الجُملَةِ لَمْ يَعُدْ كَافِيًا لِتَفْسِيرِ كَثِيرٍ مِنَ الظَّوَاهِرِ اللُّغَوِيّة؛ لأَنَّ "الجُمْلَةَ لا تُقَدِّمُ سِوَى الضَّئِيلِ بالنِّسبَةِ لما يُقَدِّمُهُ النَّصُّ؛ فَمَا الجُمْلَةُ إلَّا جُزءٌ صَغِيرٌ بالقِيَاسِ

١- الكفويّ(ت ١٠٩٤هـ) أبو البقاء، الكُلِّيَّات، تَحْقِيقُ: عدنان درويش، ومَحْمُود الـمصري، دار الرشد، دمشق ، ١٩٦٧م،٣٤/٤ .

٢- يُرَاجَعُ، البهوتيّ (ت ١٠٥١)، منصور بن يونس بن إدريس، شرح منتهى الإرادات، ط١، عالم الكتب، بيروت،١٩٨٣م، ٤٢٠/٣-٤٢١، الرحيباني ي(ت١٢٤٣هـ)، مصطفى بن سعد عبده ،مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، ط٢،المكتب الإسلامي، بيروت،١٩٩٤ م،٦ /٣٦١.

٣-الشّربيني(ت٩٧٧هـ)، محمد بن الخطيب، مغني الـمحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، تحقيق: علي عوض، عادل عبد الموجود،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م، ١٣٦/٤.

٤- يُرَاجَعُ، الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، أبو حامد، الـمستصفَى في علم الأُصولِ، تَحْقِيقُ: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ،١/١٠٠.

٥- ابن تيمية(ت ٧٢٨هـ)، أحمد بن عبدالحليم، مجموعة الرسائل والـمسائل، علَّق عليه: رشيد رضا، لجنة التراث العربي، القاهرة، ١٩٨١م، ٣٦٥/١ .

٦- يُرَاجَعُ، مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، ١٠٣/١.

بالنَّصِّ، وما يُقَدِّمُهُ النَّصُّ يُمَثِّلُ الـــمــَعْنَى الكُلِّيَّ، عَلَى حِينِ الَّذي تُقَدِّمُهُ الجُمْلَةُ يُمثِّلُ جُزءًا فَقَطْ مِنَ الــمَـــعنَى العَامِ"[١].

وتَتَّفِقُ هَذِهِ الرُّؤيَةُ وحُدُودَ مَادَّةِ الدِّرَاسَةِ الحَالِيَةِ، مَعَ نظْرَةِ تُودرُوف إِلَى النَّصِّ؛ بوَصْفِهِ كَلامًا مُسْتَقِلًّا غَيرَ مُحَدَّدٍ بطُول مُعَيَّنٍ، قَدْ يَكُونُ جُمْلَةً، أَو كِتَابًا كَامِلًا؛ فَهُوَ مُكَوَّنٌ مِنَ العَنَاصِرِ الـــمُــكَوِّنَةِ للجُمَلِ صَوتِيًّا ونَحْويًّا ودَلَالِيًّا؛ فَبين هَذِهِ الجُمَلِ عَلَاقَاتُ تَجَاوُرٍ وتَشَابُهٍ وتَمَاسُكٍ يَتِمُّ اِستنبَاطُهَا مِنَ التَّطَرُّقِ إِلَى العَلَاقَاتِ بَينَ وَحْدَاتِ النَّصِّ[٢]؛ لِذَا فَدِرَاستُنَا هَذِهِ دِرَاسَةٌ لآليَّاتِ التَّمَاسُكِ فِي الآياتِ بما يُسْهِمُ فِي الوُصُولِ إِلَى تَفسيرِ النَّصِّ، بِقِرَاءَةٍ مُبْدِعَةٍ؛ تُمكِّنُنا مِنَ الوُقُوفِ عَلَى وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الإِعْجَازِ؛ كَمَا أَشَارَ البَاقِلَّانِيُّ إِلَى إِمكَانيَّةِ النَّظْرَةِ الشُّمُولِيَّةِ إِلَى سُوَرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ[٣]؛ وَهُوَ ما يَتَوافَقُ مَعَ قَولِ السُّيُوطِيِّ بـــــالالتِئام؛ بوَصْفِهِ أَحَدَ وُجُوهِ الإِعْجازِ[٤]؛ لأَنَّ قِرَاءَةَ النَّصِّ القُرْآنيِّ، وَفْقًا لهَذَا الـــمَنْظُورِ، تُسْهِمُ فِي "الوُقُوفِ عَلَى آليَّاتِ اِنْسِجَامِ الخِطَابِ، واِتِّسَاقِهِ، وتَحقِيقِ التَّمَاسُكِ بَينَ وَحْدَاتِهِ"[٥]، ووَحْدَاتُ القُرْآنِ، فِي ضَوْءِ القِراءَةِ النَّصِّيَّةِ؛ هِيَ سُوَرُهُ، ولَيسَتْ آياتِهِ الـــمُـــتَتَالِيَةَ فَحَسْبُ بِطَبيعَةِ الحَالِ.

وعَناصِرُ التَّمَاسُكُ النَّصّيُّ هِيَ التَّماسُكُ :الصَّوتِيُّ فِي فَوَاصِلِ الآياتِ، والـــمُعْجَمِيُّ بتَعانُقِ الـــمُفْرَدَاتِ، والنَّحْويُّ التَّركيبيُّ، والدَّلَالِيُّ، وتَماسُكُ أَفكَارِ النَّصِّ ومَواضيعِهِ، والتَّمَاسُكُ بَينَ النَّصِّ والعَالَـــمِ الخَارِجِيِّ[٦].

وتَجدُرُ الإِشَارَةُ،هُنَا، إِلَى أَنَّنَا نَتَنَاوَلُ فِي دِرِاسَتِنَا هَذِهِ العنَاصِرَ فِي بَوْتَقَةٍ وَاحِدَةٍ؛ بمَعنَى أَنَّنَا نَدْرُسُ التَّمَاسُكَ النَّحْويَّ عَبرَ الإِحَالَةِ دَاخِلَ السُّورَةِ الوَاحِدَةِ مِن سُوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ، وسُوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ وَبعْضِها، كَمَا نَدْرُسُ التَّمَاسُكَ الدَّلَالِيّ عَبرَ اِسْتِكْشَافِ تَعَانُقِ مُفْرَدَاتِ سُوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ وفَوَاصِلِ آيَاتِهَا؛ بما

١- عبد الكريم، أشرف عبد البديع، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن، ط١، مَكْتَبَة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ٤٩/١.

٢- يُرَاجَعُ، قطب، مصطفى، دراسة لغويَّة لصور التَّماسك النصيّ في لغة الجاحظ والزيَّات، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٩٦م، ٥١ .

٣- يُرَاجَعُ، الباقلانيّ، أبو بكر محمد بن الطيِّب بن محمد، إعجاز القرآن، تَحْقِيقُ: : السَّيِّد أحمد صقر، دار الـــمـــعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧١م، ٣٧.

٤- يُرَاجَعُ، الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١/ ٩٦ وما بعدها، ويُرَاجَعُ، الزَّرْكَشِيّ، البُرْهَان في علوم القرآن، ١٠٤/٢-٢١٩.

٥- خَطَّابي، محمد، لِسَانيَّات النَّصِّ، ط٢، الـــمـــركز الثقافي العربيّ، الـــمـــغرب، ٢٠٠٦م، ١٦٧.

٦- يُرَاجَعُ، الفقي، علم اللغة النصِّيِّ بين النظرية والتطبيق، ١٢٠/١ .

يُسْهِمُ في استِجلَاءِ تماسُكِ الأَفكَارِ والـــمَـــواضِيعِ بَينَ سُورِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ، وتماسُكٍ بَينَ النَّصِّ والعَالَـــمِـــ الخَارجيِّ.

ويَدُورُ الـــمَـــعْنَى اللُّغَوِيُّ لِلتَّسْبِيحِ في فَلَكِ الدَّلَالَةِ عَلَى التَّنزيهِ والتَّقْدِيسِ والإجْلَالِ للهِ ﷻ؛ لِذَا يَجبُ الوُقُوفُ عِنْدَ مُوجبَاتِ هَذَا التَّسْبِيحِ والتَّنْزيهِ والتَّقْدِيسِ والإجْلَالِ، وأَعْني بمُوجبَاتِ التَّسْبِيحِ: الأُمُورَ التي تَجعَلُ مِنْ تَقدِيسِ اللهِ تَعَالَى وتَسبيحِهِ أَمرًا وَاجبًا؛ وَهُوَ مَا تَمركَزَتْ حَوْلَهُ سُوَرُ الـــمُـــسَبِّحَاتِ؛ لِتَجْعَلَ اِستِهْلَالَ السُّورَةِ ذَاتَهُ لَفْظًا مِنْ أَلْفَاظِ التَّسْبِيحِ؟ أَوْ بِصِيغَةٍ أُخْرَى: ما الأَسْبَابُ الدَّاعِيَةُ إِلَى تَسْبِيحِ اللهِ ﷻوتَقْدِيسهِ في تِلْكَ السُّوَرِ؟

ويَجْدُرُ بِدِرَاسِتِنَا في هذَا الموضِعِ أَنْ تَعْرِضَ لِـــمُـــوجبَاتِ التَّسْبِيحِ الـــمَذْكُورَةَ في سُوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ؛ بحَيثُ تَتَنَاوَلُ كُلَّ سُورَةٍ عَلَى حِدَةٍ، ثُمَّ تَرْبطُ بينَ تِلْكَ الـــمُوجبَاتِ لِسُوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ في بَوْتَقَةٍ وَاحِدَةٍ، وتَعرِضُ لِتِلْكَ الـــمُوجبَاتِ، دَاخِلَ كُلِّ سُورَةٍ، عَلَى مُسْتَوَيَين: مُسْتَوَى الوَحدَةِ النَّصِّيَّةِ الافتِتَاحِيَّةِ للسُّورَةِ، ومُسْتَوَى اِمتِدَادِ السُّورَةِ بأَكْمَلِهَا؛ ثُمَّ تَقِفُ عِندَ أَبْعَادِ التَّرابُطِ النَّصِّيِّ بَينَ مُوجبَاتِ التَّسْبِيحِ عَلَى مُسْتَوَى سُوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ مُجْتَمِعَةً؛ بوَصْفِهَا وَحْدَةً نَصِّيَّةً كُبرَى وَاحِدَةً.

٢/١- سُورَة الإِسْرَاءِ:

٢/١/١- مُوجبَاتُ التَّسْبِيحِ عَلَى مُسْتَوَى البِنيَةِ الافتِتَاحِيَّةِ لِلسُّورَةِ:

جَاءَتِ اِفتِتَاحِيَّةُ أُولَى سُوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ بلَفْظِ الـــمَصْدَرِ (سُبْحَانَ)، في قَولِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[سُورَةُ الإِسْرَاءِ]، وكَمَا ذَكَرْنَا أَنَّ التَّسْبِيحَ تَنْزِيهٌ، وتَبعِيدٌ؛ لِذَا جَاءَ الإِفْصَاحُ عَنِ الدَّاعِي والـــمُـــوجبِ لِهَذَا التَّسْبِيحِ، وَهُوَ الحَدَثُ الَّذي لا يَأْتِي إِلَّا مِنْ تَفَرُّدٍ بالقُدْرةِ عَلَى فِعْلِ الحَدَثِ، والفِعْلُ، هُنَا، هُوَ الإِسْرَاءُ بِنَبيِّ الأُمَّةِ، وخَاتَمِ الأَنْبيَاءِ مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ الفِعْلُ الَّذي لا يَقْدِرُ عَلَيهِ إِلَّا رَبُّ الأَرْبَابِ ﷻ؛ وَبالتَّالِي فَهُوَ الأَحَقُّ بالتَّنْزيهِ والتَّعْظِيمِ، كَمَا أَنَّ بِدَايَةَ السُّورَةِ بِتَسْبِيحِ اللهِﷻ يَتَّفِقُ والحَرَكَةَ النَّفْسِيَّةَ، وأَكْثَرُ اتِّسَاقًا مَعَ لُطْفِ الإِسْرَاءِ وإِعْجَازِهِ، وأَدَلُّ عَلَى الصِّلَةِ بَينَ النَّبيِّ العَبدِ صلى الله عليه وسلم؛ وربِّهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

وَتَأْتِي أَهَمِّيَّةُ حَدَثِ الإِسْرَاءِ؛ بِوَصْفِهِ حَدثًا زلْزَلَ الكفَّارَ الَّذِينَ كَذَّبُوا مُحمَّدًا صلى الله عليه وسلم؛ والدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ ابنَ عَطِيَّةَ ذَكَرَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ أَنَّ قَولَهُ تَعَالَى ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾، يَحتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الـمُـرَادُ مِنهُ لِنُرِيَ مُحمَّدًا للنَّاسِ آيَةً؛ أَيْ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَفْسُهُ آيَةً مِنَ اللهِ؛ إِذْ إِنَّ اللهَ تَعَالَى صَنَعَ بِبَشَرٍ هَذَا الصُّنعَ[1]؛ وَقَدْ أَشَارَ أَبو حيَّانَ فِي البَحْرِ الـمُـحِيطِ أَنَّ هَذَا الحَدَثَ الجَلَلَ؛ أَعْنِي الإِسْرَاءَ، عِندَمَا ذَكَرَهُ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم لقُرَيشٍ؛ كَانَ تَصْدِيقًا لَهُ، لأَنَّهُم كذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبلُ، وكَذَّبُوهُ فِي كُلِّ ما يَقُولُ[2]؛ فَكَانَ الإِسْرَاءُ دَلِيلًا دَامِغًا عَلَى صِدْقِهِ وصِدْقِ رِسَالَتِهِ؛ لأَنَّهُم يَعْلَمُونَ صِحَّةَ ما يَروِيهِ ويَصِفُهُ لَهُم.

والأَمرُ اللَّافِتُ للنَّظَرِ فِي الآيَةِ الافتِتَاحِيَّةِ لِسُورَةِ الإِسْرَاءِ أَنَّها خُتِمَتْ بقَولِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾، وهُمَا صِفَتَانِ مُتَلَازِمَتَانِ فِي مُعْظَمِ آياتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ عَامَّةً، وفِي هَذَا الـمَـوضِعِ خَاصَّةً كَانَ لَهُمَا دَلَالَةٌ عَمِيقَةٌ؛ إِذْ إِنَّ الَّذِي قَدَّرَ لَهُ هَذِهِ الـمُـعْجِزَةَ النَّادِرَةَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ بِكُلِّ صَغِيرةٍ وكَبِيرَةٍ فِيهَا؛ والـمُلَاحَظُ هُنا استِخْدَامُ الإِحالَةِ القَبلِيَّةِ ذَاتِ الـمَـدَى القَرِيبِ، باستِخدَامِ أَعْلَى دَرَجَاتِ التَّوكِيدِ، وذَلِكَ باستِخْدامِ ضَمِيرِ الغَيبَةِ (الهاء) فِي (إِنَّهُۥ) مَرَّةً، ثُمَّ بالضَّمِيرِ الـمُـنفَصِلِ (هُوَ) مرَّةً أُخْرَى، ومَرْجِعِيَّةُ الضَّمِيرَينِ وَاحِدَةٌ فِي هَذَا الـمَـوضِعِ؛ إِلَى اللهِ تَعَالَى الَّذِي أَسْنَدَ إِلَى ذَاتِهِ الحَدَثَ الـمُـعْجِزَ، وَهُوَ الإِسْرَاءُ بِعَبدِهِ صلى الله عليه وسلم؛ لِذَا فَتَقْدِيسُهُ وتَنزِيهُهُ سُبْحَانَهُ منَ الوَاجِبَاتِ الوَاجِبَةِ.

٢/١/٢- مُوجِبَاتُ التَّسْبِيحِ فِي نَسِيجِ السُّورَةِ:

التَّسَاؤُلُ الذي يَجِبُ أَنْ يَنطلِقَ منهُ التَّحْلِيلُ النَّصِّيُّ هُوَ: ما الأُمُورُ الـمُـوجِبَةُ لِتَنزِيهِ اللهِ ﷻ التِي مثَّلَتْ نَسِيجَ النَّصِّ القُرْآنِيّ فِي سُورَةِ الإِسْرَاءِ؟

ذلكَ عَلَى مُسْتَوَى السُّورَةِ التِي تصدَّرتْ سُوَرَ الـمُـسَبِّحَاتِ مِنْ جَانِبٍ، وتَفَرَّدتْ بِكَونِهَا السُّورَةَ الوَحِيدَةَ مِنْ سُوَرِ الـمُـسَبِّحَاتِ التِي بَدَأَتْ بِصِيغَةِ الـمَصْدَرِ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، بالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّها أَكْبَرُ سُوَرِ الـمُـسَبِّحَاتِ مِنَ النَّاحِيَةِ الكِمِّيَّةِ؛ إِذْ بَلَغَ عَدَدُ آيَاتِهَا مَائَةً وَإِحدَى عَشْرَةَ آيَةً، بتَتَبُّعِ تِلْكَ

١- يُرَاجَعُ، اِبْن عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيّ(ت ٥٤٦هـ)، الـمُـحرَّر الوجيز في تَفْسِير الكتاب العزيز، ط١، دار الكتب العلميَّة،بيروت،١٩٨٣م، الآية الـمـذكورة .

٢- يُرَاجَعُ، أبو حيَّان (ت ٧٥٤ هـ)، البحر الـمـحيط، موضع الآيةِ الشَّريفةِ الـمـذكُورةِ.

الـــمُوجبَاتِ عَلَى امتِدَادِ السُّورَةِ،ويُمكِنُ حَصرُها في أُمُورٍ تَفَرَّدَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِهَا، لا يُنَازِعُهُ فِيهَا غَيرُهُ؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ القَادِرُ عَلَيهَا وَحْدَهُ، وتَتَمَثَّلُ في الأُمُورِ الآتِيَةِ:

- أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ الَّذِي آتَى مُوسَى الكِتَابَ، وَجَعَلَهُ هُدًى لِبَنِي إِسرائيلَ: في قَولِهِ:﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ [سُورَةِ الإِسْرَاءِ] وَقَدْ نَسَبَ الفِعْلَ لِذَاتِهِ الـــمُـــتفَرِّدَةِ عَبْرَ الضَّمِيرِ (نا) في الفِعْلَينِ الإنجازيّين: (آتَيْنَا)، و(جَعَلْنَا).
- أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ الَّذِي حَمَلَ نوحًا وقَوْمَهُ ونَجَّاهُم مِنَ الهَلَاكِ: في قَولِهِ سُبْحَانَهُ:﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [سُورَةِ الإِسْرَاءِ]. وَقَدْ نَسَبَ الفِعْلَ لِذَاتِهِ الـــمُـــتَفَرِّدَةِ عَبْرَ الضَّمِيرِ (نا) في الفِعْلِ الإنجازِيِّ (حَمَلْنَا).
- أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ الَّذِي قدَّرَ عَلَى بنِي إِسْرَائِيلَ أَمْرَينِ مُسْتَقْبَلِيّين: في قولِهِ سُبْحَانَهُ:﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ [سُورَةِ الإِسْرَاءِ]. وَقَدْ نَسَبَ الفِعْلَ لِذَاتِهِ الـــمُـــتفرِّدَةِ عَبْرَ الضَّمِيرِ (نَا) في الفِعْلِ الإنْجَازِيّ (قَضَينَا).
- ترتَّبَ عَلَى الفِعْلِ الإنجازِيِّ، هُنَا، فِعْلَانِ آخَرَانِ، تَفَرَّدَ بِهِمَا الحَقُّ سُبْحَانَهُ، الأَوَّلُ:﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ ﴿٥﴾ ﴾[سُورَةِ الإِسْرَاءِ]. وفي الـــمَـــوضِعين نَسَبَ اللهُ الفِعْلَ لِذَاتِهِ عَبْرَ (نَا) الفَاعِلِينَ في الفِعْلَينِ الإنجَازِيِّين: (بَعثْنَا)، و (رَدَدْنَا).ومِنَ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى مُوجبَاتِ التَّسْبِيحِ في سُورَةِ الإِسْرَاءِ:
- قَولُهُ تَعَالَى:﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ ﴿٨﴾ ﴾، وقَولُهُ:﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ وقَولُهُ: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴿١٢﴾ ﴾ وقَولُهُ:﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾ وقَولُهُ:﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ وقَولُهُ:﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾وقَولُهُ:﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ وقَولُهُ:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴿٢٣﴾ ﴾وقَولُهُ:﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ ﴿٢٥﴾ ﴾ وقَولُهُ:﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾ وقَولُهُ:﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴿٣٠﴾ ﴾ وقَولُهُ:﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ وقَولُهُ:﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ ﴿٣١﴾ ﴾

وقولُهُ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ ﴿٤١﴾ ﴾وقولُهُ: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ ﴿٤٧﴾ ﴾ وقولُهُ: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ ﴿٥٤﴾ ﴾ وقولُهُ: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴿٥٥﴾ ﴾ وقولُهُ: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ وقولُهُ تعالَى: ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزْجِي لَكُمُ ٱلْفُلْكَ ﴿٦٦﴾ ﴾ وقولُهُ: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ ﴾ وقولُهُ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ وقولُهُ: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٩٧﴾ ﴾ وقولُهُ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا ﴿٩٩﴾ ﴾ وقولُهُ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ﴿١٠١﴾ ﴾ وقولُهُ: ﴿ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ وقولُهُ: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ ﴿١٠٥﴾ ﴾ وقولُهُ: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ وقولُهُ: ﴿ لَّمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ ﴿١١١﴾ ﴾.

وتَكْشِفِ الدِّرَاسَةُ النَّصِّيَّةُ، بعدَ جَمْعِ مُوجِبَاتِ التَّسْبِيحِ في بَوْتَقَةٍ وَاحِدَةٍ دَاخِلَ السُّورَةِ، عَنِ الأُمُورِ الآتِيَةِ:

أَوَّلًا: أنَّ جُلَّ ما وَرَدَ مِنْ قُدُراتٍ للهِ سُبْحَانَه وَتَعَالَى، في الـمَـواضِعِ السَّالِفَةِ الذِّكْرِ، قَدْ جَاءَتْ مُعْتَمِدَةً عَلَى القُوَّةِ الإِنْجَازِيَّةِ للأَفْعَالِ الـمَذْكُورَةِ، التي تَفَرَّدَ بِهَا الـمَـولَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذي:

(**آتَى** مُوسَى الكِتَابَ، وَجَعَلَهُ هُدًى لبَنِي إِسرَائِيلَ، وَهُوَ الَّذي **حَمَلَ** نُوحًا وذُرِّيَّتَهُ في الفُلْكِ، وَهُوَ الَّذِي **قدَّر** عَلَى بَنِي إِسرَائيلَ أَنْ يُفْسِدُوا في الأَرْضِ مَرَّتَين، وَهُوَ القَادِرُ عَلَى رَحْمَةِ عِبَادِهِ، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذي **جَعَلَ** اللَّيلَ والنَّهَارَ آيتَين، و**مَحَا** آيَةَ اللَّيلِ، وَ**جَعَلَ** آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً، وَهُوَ الَّذي **فَصَّلَ** كُلَّ شَيءٍ تَفْصِيلًا، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي **أَلْزَمَ** كُلَّ إِنْسَانٍ طَائِرَهُ في عُنُقِهِ، وَهُوَ الَّذِي **سيُحاسِبُ** عِبَادَهُ يومَ الحَشْرِ، وَهُوَ الخَبيرُ البَصِيرُ بذُنُوبِ عِبَادِهِ، وَهُوَ الـمَـعبُودُ لِذَاتِهِ لا شَرِيكَ لَهُ، وعَطَاؤُهُ غَيرُ مَحظُورٍ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الذي **يَعْلَمُ** ما تُخفِي النُّفُوسُ، **ويَعْلَمُ** ما في السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، وَهُوَ الَّذِي **يبسُطُ** الرِّزقَ لعبادِهِ لا أَحَدَ غيرُهُ، وَهُوَ الَّذِي **كرَّم** بني آدَمَ، وَهُوَ الَّذِي **آتَى** مُوسى عليه السلام تِسْعَ آياتٍ، وَهُوَ الَّذِي **أَنزَلَ** القُرْآنَ، وكَانَتْ آخِرُ تِلْكَ

الـــمُوجبَاتِ فِي تِلْكَ السُّورَةِ هِيَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ، لا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ، ولَيسَ لَهُ وَلِيٌّ)؛ لِذَا فَهُوَ سُبْحَانَهُ الـــمُـــستَحِقُّ للتَّنزيهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، الجَدِيرُ بالتَّقْدِيسِ دُونَ غَيرِهِ، الأَحَقُّ بالإجْلَالِ والتَّعْظِيمِ.

ثانيًا: تُعَدُّ سُورَةُ الإسْرَاءِ أَكْبَرَ السُّوَرِ التي وَرَدَ لَفْظُ التَّسْبِيحِ فِيها بِصِيَغٍ مُتَعَدِّدَةٍ؛ مِمَّا يَكْشِفُ الحِكْمَةَ مِنْ صَدَارَتِهَا لِسُوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ، وكَأَنَّهُ تَدَرُّجٌ مِنَ العَامِّ إِلَى الخَاصِّ هَكَذَا:﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾، ثُمَّ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ ﴿٤٤﴾ ﴾ ثُمَّ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ ﴿٤٤﴾ ﴾ ثُمَّ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ ﴿٤٤﴾ ﴾ ثُمَّ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ ثُمَّ ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ ﴾.

٢/٢- سُورَةُ الحَدِيدِ:

٢/٢/١- مُوجِبَاتُ التَّسْبِيحِ عَلَى مُسْتَوَى البِنْيَةِ الِافتِتَاحِيَّةِ للسُّورَةِ: بَدَأَتِ السُّورَةُ بقَولِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ ؛ وهُو يُثِيرُ هَذَا السُّؤالَ: ما مُوجِبَاتُ تَسْبِيحِ ما في السَّمَوَاتِ والأَرْضِ للهِ ربِّ العالـــمِـــينَ في هَذَا الـــمَـــوضِعِ مِنْ سُورَةِ الحَدِيدِ؟

تَكْمُنُ الإجَابَةُ في تَكثِيفِ مَظَاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ ﷻ، التي تفرَّدَ بها، لا يُنازِعُهُ فيهَا أَحَدٌ؛ حَيثُ كَشَفَتِ الآيَاتُ التَّالِيَةُ للآيَةِ الافتِتَاحِيَّةِ عَنْ مُوجِبَاتِ تَنزِيهِ اللهِ وهِيَ عَلَى التَّرتيبِ الآتي، وَفْقَ القُدُراتِ التي جَاءَتْ في صَدَارَةِ الآيَاتِ التَّالِيَةِ للآيةِ الافتتاحيَّةِ:﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴿٢﴾ ﴾،ثُمَّ ﴿ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ ﴿٢﴾ ﴾،ثُمَّ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ ﴿٣﴾ ﴾،ثُمَّ﴿ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ ﴿٣﴾ ﴾،ثُمَّ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴿٤﴾ ﴾،ثُمَّ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ﴿٤﴾ ﴾،ثُمَّ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ ﴿٤﴾ ﴾، ثُمَّ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴿٤﴾ ﴾،ثُمَّ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ ﴿٦﴾ ﴾.

والـــمُلَاحَظُ أَنَّ مُوجِبَاتِ التَّنْزِيهِ للهِ سُبْحَانَهُ في الـــمَـــواضِعِ السَّابِقَةِ جَاءَتْ قَاطِعَةً لما تَفرَّدَ بِهِ سُبْحَانَه؛ فَكُلُّ ما في السَّمَوَاتِ والأَرْضِ سَبَّحَهُ؛ لأَنَّهُ هُوَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَحْدَهُ، وَهُوَ مَنْ يُحيِي ويُمِيتُ وَحْدَهُ، وَهُوَ الأَوَّلُ بِلَا ابتِدَاءٍ، والآخِرُ بلَا انتِهَاءٍ وَحْدَهُ ، وَهُوَ الّذي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَحْدَهُ، وَهُوَ

الَّذي اِستَوَى عَلَى العَرْشِ وَحْدَهُ، وَهُوَ العَالِـمُ بما يَلِجُ في الأَرْضِ، وما يَخرُجُ مِنهَا وَحْدَهُ، وَهُوَ العَالِـمُ بما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ، وما يَعْرجُ فِيهَا وَحْدَهُ، وَهُوَ الوَاحِدُ الأَحَدُ الذي يُولِجُ اللَّيلَ في النَّهَارِ ويُولِجُ النَّهَارَ في اللَّيلِ).

٢/٢/٢- مُوجِبَاتُ التَّسْبيحِ عَلَى امتِدَادِ سُورَةِ الحَدِيدِ: تَأْتِي المُوجِبَاتُ بأَكْمَلِهَا عَلَى النَّحْوِ الآتِي: ﴿ **وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴿٢﴾ ﴾، ثُمَّ ﴿ **وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴿٣﴾ ﴾،ثُمَّ ﴿ **وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴿٤﴾ ﴾، ثُمَّ ﴿ **وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ** ﴿٥﴾ ﴾، ثُمَّ ﴿ **وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ** ﴿٦﴾ ﴾

وتَكْشِفُ الدِّرَاسَةُ النَّصِّيَّةُ بَعْدَ جَمْعِ مُوجِبَاتِ التَّسْبيحِ في بَوْتَقَةٍ وَاحِدَةٍ دَاخِلَ سُورَةِ الحَدِيدِ، عَنِ الأُمورِ الآتِيَةِ:

أَوَّلًا: الاعتِمَادُ عَلَى الجُمَلِ الاِسْمِيَّةِ ذَاتِ القُوَّةِ الإِنْجَازِيَّةِ؛ لما تَضَمَّنَتْهُ مِنْ قُدُرَاتٍ مُطْلَقَةٍ للهِ ﷻتَسْتَوجبُ تَنزِيهَهُ وتَقْدِيسَهُ؛ إِذْ تَكْشِفُ الجُمَلُ الاِسْمِيَّةُ الوَارِدَةُ في خَوَاتِيمِ تِلْكَ الفَوَاصِلِ، كَمَا كَشَفَتْ صُدُورُ آيَاتِها عَمَّا تَفَرَّدَ بِهِ سُبْحَانَهُ؛ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وَبِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ، وبما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ، وإِلَيهِ تُرجَعُ الأُمُورُ، عَلِيمٌ بذَاتِ الصُّدُورِ)؛ مِمَّا يُبرِزُ نَتِيجَةً مُـهِمَّةً في الدِّرَاسَاتِ النَّصِّيَّةِ هِيَ أَنَّ الجُمَلَ الاِسْمِيَّةَ لَهَا القُوَّةُ الإِنْجَازِيَّةُ التِي تُحقِّقُهَا الأَفْعَالُ الكَلَامِيَّةُ، اعتِمَادًا عَلَى مَضْمُونِها الإِنْجَازِيِّ.

ثَانِيًا: جَاءَتِ الفَوَاصِلُ بالأَلْفَاظِ التِي تَدُلُّ عَلَى العُمُومِ الـمُطْلَقِ، والشُّمُولِ والإِحَاطَةِ، وَهُوَ ما يَتَّسِقُ معَ وجُوبِ تقديسِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتَنزِيهِهِ؛ مِثلَ أَنَّهُ،سُبْحَانَهُ، عَلَى **كُلِّ شَيءٍ** قَدِيرٌ، و**بِكُلِّ شَيءٍ** عَلِيمٌ، و**بما** تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ، كَمَا جَاءَ لَفْظَا: (الأُمُورِ، والصُّدُورِ) مَعْرِفَةً؛ لِلعُمُومِ والشُّمُولِ.

٢/٣- سُورَةُ الحَشْرِ:

٢/٣/١- مُوجِبَاتُ التَّسْبيحِ عَلَى مُستَوَى الوَحْدَةِ النَّصِّيَةِ الافتِتَاحيَّةِ لِلسُّورَةِ: بَدَأَتِ السُّورَةُ بِقَولِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾؛ لِذَا يَتَكَرَّرُ السُّؤالُ: ما مُوجِبَاتُ تَسْبيحِ ما في السَّمَوَاتِ وما في الأَرْضِ للهِ رَبِّ العَالَـمِينَ في هَذَا الـمَوضِعِ مِن سُورَةِ الحَشْرِ؟

وقَدْ جاءَتِ الإجابةُ، هُنَا، مِنَ اللهِ، سُبْحَانَهُ، بذِكْرِ حَدَثٍ لا يَقِلُّ أَهَمِّيَّةً وجَلَالًا عَنِ الحَدَثِ الـمَـذكُور في سُورَةِ الإِسْرَاءِ؛ فَهُوَ حَدَثٌ زَلْزَلَ كِيَانَ الكَافِرِينَ أَيْضًا، وَهُوَ إِخْرَاجُ الَّذِينَ كَفرُوا، الَّذِينَ ظَنُّوا مِنْ قَبْلُ أَنَّ حُصُونَهُم مَانعَةٌ لمثلِ هَذَا الحدَثِ، مِنْ دِيَارِهم. وحَدَثُ إخْرَاجهم هَذَا بالنِّسْبَةِ لَهُم أَمْرٌ مُحالٌ، ووَقُوعُهُ خِزْيٌ لَهم، وإنفاذٌ لقُدْرَةِ اللهِ ﷻفِيهم، ونُصْرَةٌ للمُؤْمِنينَ؛ وهُنَا تَتجَلَّى قُدْرَةُ الخَالِقِ فِي أَنْ يَكُونَ إخْرَاجُهم إِلَى أَرْضِ الشَّامِ؛ كَمَا ذَكَرَ الـمُفَسِّرُونَ أَنَّ الـمَحْشرَ يَكُونُ فِي الشَّامِ[١]؛ لِذَا تَهَيَّأَتِ الأَجْوَاءُ للمُسْلِمِينَ الَّذينَ صَدَّقُوا الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم وآمَنُوا بِهِ أَنْ يُقِيمُوا دَولَتَهُم؛ تَأْسِيسًا عَلَى جَلَالِ هَذَا الحَدَثِ وعَظَمتهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى. والذي عليهِ الجُمْهُورُ أَنَّ الَّذينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِم أَهْلُ السَّطْوَةِ والقُوَّةِ مِنَ الـمُشْركِينَ وَهُمْ؛ كَمَا يُشيرُ أَبُو حَيَّانَ فِي البَحرِ الـمُحِيطِ؛ بَنُو النَّضِيرِ، ولَيْسُوا يَهُودَ بني قُرَيظَةَ؛ إِذْ إِنَّهُم ما حُشِرُوا، ولَا أُجْلُوا، وإنَّما قُتِلُوا، كَمَا ذكرَ أَبُو حيَّانَ أَنَّ الحَشْرَ كَانَ لإخراجِ بَنِي النَّضِيرِ؛ أَيْ حَشَرَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم الكتَائِبَ لِقِتَالِهِم، وَهُوَ أَوَّلُ حَشْرٍ مِنهُ لَهُم[٢]؛ لِذَا كَانَتْ مُوجبَاتُ التَّسْبِيحِ والتَّنْزِيهِ؛ لأَنَّهُ، سُبْحَانَهُ، هُوَ الَّذِي نَسَبَ إِلَى ذَاتِهِ الأَفْعَالَ الإِنْجَازِيَّةَ التِي تَرَتَّبَ عَلَيهَا الحَدَثُ عَلَى النَّحْوِ الآتي:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴿٢﴾ ﴾، ثُمَّ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ ﴿٢﴾ ﴾، ثُمَّ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ ﴿٢﴾ ﴾ ، ثُمَّ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾، ثُمَّ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ ﴿٣﴾ ﴾و تُثْبتُ العَناصِرُ الإحَالِيَّةُ في الـمَـواضِعِ السَّابِقَةِ تَفرُّدَ اللهِ سُبْحَانَهُ بالفِعْلِ؛ كَالآتِي:

- فِي الآيةِ الثَّانيَةِ: الضَّمِيرُ الغَائِبُ (هُوَ)، عَائِدٌ عَلَى لَفْظِ الجلَالَةِ الـمُـتَقَدِّم (وَهِيَ إِحَالَةٌ قَبْلِيَّةٌ ذَاتُ مَدًى قَرِيب)، بالإِضَافَةِ إِلَى الاسمِ الـمَـوْصُولِ (الَّذِي) الـمُـرْتَبطِ بالأَفْعَالِ الإِنْجَازِيَّةِ الآتِيَةِ لَهُ (وهِيَ إحالَةٌ بَعْدِيَّةٌ ذَاتُ مَدًى قَرِيب).
- تُؤَكِّدُ الأَفْعَالُ الإِنْجَازِيَّةُ الـمَذْكُورَةُ فِي الآياتِ التَّالِيَةِ للآيَةِ الافتِتَاحِيَّةِ قُدْرةَ الخَالِقِ مِنْ نَاحِيةٍ، وجَلَالَ الحدَثِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى؛ وتَتَمثَّلُ تِلْكَ الأَفْعَالُ فِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الَّذِي أَخْرَجَهُم بحَوْلِهِ وَقُوَّتهِ، وأَنَّ أَمْرَهُ آتَاهُم مِنْ حَيثُ لَمْ يَحْتَسبُوا، وَهُوَ، سُبْحَانَهُ، الذي قَذَفَ فِي قُلُوبهم الرُّعْبَ.
- وقَدْ تَرَتَّبَ عَلَى الفِعْلِ الإنجَازيِّ (قَذَفَ)، بمُتعلِّقَاتِهِ، فِعْلٌ إِنْجَازِيٌّ آخَرُ، تَتَجَلَّى فِيهِ قُدْرَةُ الـمَـولَى، سُبْحَانَهُ، وَهُوَ أَنَّهُ جَعَلَهُم يُخرِّبُونَ بُيُوتَهم بأَيدِيهِم، بَلْ هُوَ الَّذِي كَتَبَ عَلَيهِم الجَلَاءَ،

---

١ - يُرَاجَعُ، الأَلُوسِيّ، روح الـمَعَانِي فِي تَفْسِير القرآن والسَّبْع الـمَثَانِي، ٣٩/٢٨ .

٢ - يُرَاجَعُ، أبو حيَّان (ت٧٥٤هـ)، البحر الـمحيط، موضع الآية الـمـذكورة .

أَيْ قَدَّرَهُ بقُدْرَتِهِ الـــمـــُطْلَقَةِ؛ لِذَا جَاءَ تَسْبيحُهُ وَاجِبًا في هَذِهِ السُّورَةِ الـــمُبَارَكةِ عَبْرَ تَعَدُّدِ أَفعَالِها الإنْجَازِيَّةِ.

٢/٣/٢- مُوجبَاتُ التَّسْبِيحِ عَلَى امتِدادِ نسيجِ السُّورَةِ: جَاءَتْ مُوجبَاتُ التَّسْبيحِ في سُورَةِ الحَشْرِ مُتَّسقَةً مَعَ قُبْحِ أَفْعَالِ الـــمُـــشْرِكِينَ الَّذينَ شَاقُّوا اللهَ ورَسُولَهُ؛ لِذَا تَحمِلُ مُوجبَاتُ تَسْبيحِ الـــمَولَى ﷻ، دَلَالةَ القُدْرَةِ عَلَى عِقَابِهم، وعِقَابِ كُلِّ مَنْ يُخالِفُ أَوَامرَهُ، وَلَا يَتَّقِي نَواهِيَه؛ وهَذَا ما يُفسِّرُ أَنْ تَكُونَ فَواصِلُ الآيَاتِ في سُورَةِ الحَشْرِ عَلَى النَّحْوِ الآتِي: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ ﴾، ثُمَّ ﴿ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾، ثُمَّ ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾، ثُمَّ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾، ثُمَّ ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾، ثُمَّ ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

وجَاءَتْ الوَحدَةُ النَّصِّيَّةُ الختاميَّة لِسُورَةِ الحَشْرِ، مِنَ الآيَةِ الحَادِيَةِ والعِشْرينَ إِلَى الآيَةِ الرَّابِعَةِ والعِشْرِينَ، مُشْتَمِلَةً عَلَى مُوجبَاتِ تَسْبيحٍ مُتَعَدِّدَةٍ، ومُتَفَرِّدَةٍ لِذَاتِ اللهِ، سُبْحَانَهُ؛ هِيَ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴿٢٢﴾ ﴾، ثُمَّ ﴿ هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴿٢٢﴾ ﴾، ثُمَّ ﴿ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾، ثُمّ ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴿٢٣﴾ ﴾، ثُمّ ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴿٢٤﴾ ﴾، ثُمّ ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾. وتَتَجَلَّى مَعَالِمُ التَّلَاحُمِ والتَّناسُقِ دَاخِلَ بنيَةِ سُورَةِ الحَشْرِ في خِتَامِ السُّورَةِ بذِكرِ أَلْفَاظِ التَّسْبيحِ، كَمَا بَدَأَتْ بهَا؛ لِذَا وَردَ لَفظُ التَّسْبيحِ في مَوضِعين في خِتَامِهِا:

- **الأَوَّلُ:** بصِيغَةِ الـــمَصْدَرِ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾. **الثَّاني:** بِصِيغَةِ الـــمُضَارِع: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٢٤﴾ ﴾. وتَكْشِفُ الدِّرَاسَةُ النَّصِّيَّةُ، بَعْدَ جَمْعِ مُوجبَاتِ التَّسْبيحِ في وَحْدَةٍ وَاحِدَةٍ دَاخِلَ السُّورَةِ، عَنِ الأُمُورِ الآتِيَةِ:

أَوَّلًا: جَاءَ الحَدَثُ الأَكْبَرُ في صدارةِ سُورَةِ الحَشْرِ حَدَثًا خاصًّا زَلْزلَ قُلُوبًا تُنكِرُ قُدْرَةَ الخَالِقِ، وهِيَ قُلُوبٌ ظَنَّتْ مِن غَطْرسَةِ أَصْحَابِهَا أَنَّ قُدرتَهم تَفُوقُ أيَّ قُدرةٍ، ولَكِنَّ قُدْرَةَ اللهِ ﷻ كَانَتْ فوقَ قُدْرَتِهم، إِلَى الحَدِّ الَّذي جَعَلَهُم يُخَرِّبُونَ بُيُوتَهم بأَيْدِيهِم، بَعْدَ أَنْ قَذَفَ في قُلُوبِهِم الرُّعْبَ؛ لِذَا فَتَقْدِيسُهُ، سُبْحَانَهُ، وَاجِبٌ بِلَاشَكٍّ.

ثانيًا: تَكْشِفُ الوَحَداتُ النَّصِّيَّةُ دَاخِلَ السُّورَةِ، عَلَى مُسْتَوَى البِنيَةِ الافتِتاحيَّةِ، ثُمَّ عَلَى امتِدادِ السُّورَةِ، ومُسْتَوَى خَاتِمَتِهَا، عَن مَدَى التَّنَاسُقِ بَينَ جَلَالِ الحدَثِ الـــمُـــتَصَدِّرِ للسُّورَةِ، وفَوَاصِلِ الآيَاتِ دَاخِلَ بَنيَتِهَا، وخَوَاتِيمِهَا؛ فَنَظَرًا لأنَّ الحَدَثَ جَاءَ يَخُصُّ الـــمُــشْرِكِينَ فَقَدْ دَارَتْ فَوَاصِلُ الآيَاتِ فِي فَلَكِ الإشَارَةِ إِلَى أَنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ، وسَيَخْزِي الفَاسِقِينَ، ويُعَذِّبُهُم العَذَابَ الأَلِيمَ، وذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالـــمِـــينَ.

٤/٢– سُورَةُ الصَّفِّ:

تُعَدُّ سُورَةُ الصَّفِّ وَاسِطَةَ سُورِ الــمُـــسَبِّحَاتِ السَّبْعِ؛ فَقَدْ سَبقَتْهَا ثَلَاثُ سُوَرٍ؛ هِيَ: "الإِسْرَاءُ، والحَدِيدُ، والحَشْرُ"، وتَلَتْهَا ثَلَاثُ سُورٍ أُخرَى هِيَ: "الجُمُعَةُ، والتَّغَابُنُ، والأَعْلَى".

ويَرصُدُ البَحْثُ فِي ضَوْءِ آلِيَّاتِ القِرَاءَةِ النَّصِّيَّةِ لِسُوَرِ الــمُـــسَبِّحَاتِ؛ بِوَصْفِهَا وَحْدَةً نَصِّيَّةً كُبْرَى، وَوَاسِطَةَ عَقْدِ الــمُـــسَبِّحَاتِ؛ أَعْنِي سُورَةَ الصَّفِّ، وَهِيَ السُّورَةُ الوَحِيدَةُ التِي تَلَتِ الآيَةَ الافْتِتَاحِيَّةَ، تَصَدَّرَ الآيَةَ أُسلُوبٌ إنشائِيٌّ؛ وَهُوَ النِّدَاءُ الــمُوَجَّهُ إِلَى عِبَادِ اللهِ الـــمُـــؤمِنِينَ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ** ﴿٢﴾ ﴾، وَهُوَ النِّدَاءُ الَّذي تَلَاهُ، أَيْضًا، أُسلُوبٌ إِنْشَائِيٌّ استِفْهَامِيٌّ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿ **لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ** ﴿٢﴾ ﴾.

ولأَنَّ وَاسِطَةَ العَقْدِ، فِي غَالِبِ الأَمْرِ، تَجذِبُ الأَنظَارَ إِلَى العَقْدِ كُلِّهِ؛مِمَّا يَدْفَعُنَا إِلَى تَدَبُّرِ آياتِ سُورَةِ الصَّفِّ، فِي ضَوْءِ آلِيَّاتِ التَّحْلِيلِ النَّصِّيِّ لِلــمُـــسَبِّحَاتِ؛ وَفْقًا لآلِيَّةِ: كَيفَ تَمَيَّزَتْ وَاسِطَةُ عَقْدِ سُوَرِ الــمُـــسَبِّحَاتِ عَمَّا قَبلَهَا وما بَعدَهَا، مِن تِلْكَ السُّوَرِ؟

وبَالنَّظَرِ إِلَى سُوَرِ الــمُـــسَبِّحَاتِ يتَّضِحُ أَنَّ سُورَةُ الصَّفِّ مَثَّلَتْ وَحْدَةً نَصِّيَّةً ذَاتَ بِنَاءٍ مُتميِّزٍ؛ قِوَامُهُ ثَلَاثَةُ نِدَاءَاتٍ تَلَتِ الآيَةَ الافْتِتَاحِيَّةَ بالتَّسْبِيحِ؛ عَلَى النَّحْوِ الآتِي:

أ– **النِّدَاءُ الأَوَّلُ:** ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾** ﴾.

ب- **النِّدَاءُ الثَّاني:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

ت- **النِّدَاءُ الثَّالِثُ:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴿١٤﴾ ﴾.

والسُّؤالُ الَّذي يَطْرَحُ نَفْسَهُ: ما الرَّابطُ بَينَ البَدْءِ بالتَّسْبيحِ في مَطلَعِ السُّورَةِ والنِّداءَاتِ الثَّلَاثَةِ للمُؤْمنينَ لِلعِتَابِ، ولِلتَّشْويقِ، ولِلصَّفْحِ، عَلَى التَّرتيبِ؟ وهَلْ ثَمَّةَ عَلَاقَةٌ تَرْبطُ بَينَ النِّداءَاتِ الثَّلَاثَةِ؟

- **النِّدَاءُ الأَوَّلُ:** حَمَلَ النِّدَاءُ الأَوَّلُ دَلَالَةَ العِتَابِ الــمُوَجَّهِ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ لِبَعْضٍ مِنْ عِبَادِهِ الــمُــؤمنينَ، فَجَاءَ مُرْتَبطًا بسَبَبِ نُزُولِ الآيَةِ؛ فَقَدْ ذَكَرَ ابنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ أُنَاسٌ مِنَ الــمُــؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ يُفرَضَ الجِهَادُ يَقُولُونَ: وَدِدْنَا أَنَّ اللهَ ﷻدَلَّنَا عَلَى أَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَيهِ؛ فَنَعْمَلُ بِهِ؛ فَأَخْبَرَهُم اللهُﷻ أَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِيمَانٌ بِهِ، وجِهَادُ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ...؛ فَلَمَّا نَزَلَ الجِهادُ كرِهَ ذَلِكَ أُنَاسٌ مِنَ الــمُــؤْمِنِينَ، وَشَقَّ عَلَيهِم؛ فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَاتِ[1]؛ مِمَّا يَعني أَنَّ مِنَ الــمُــؤْمِنِينَ مَنْ لَمْ يَفُوا بمَا يَسْتَوجِبُ طَاعَةَ اللهِ والوَفاءَ بعَهْدِهِ في قِتَالِ غَيرِ الــمُــسْلِمينَ؛ فَجَاءَ عِتَابُ اللهِ لَهُم بِأَنَّهُم لَمْ يَفُوا بِعَهْدِهِم مَعَ رَبِّهِم الَّذي يُسبِّحُونَهُ ويُقَدِّسُونَهُ، ولأَنَّ الــمُــخَالفةَ، هُنَا، تَتَنَافَى مَعَ تَنْزيهِ اللهِ وتَقديسهِ بالخُضوعِ لَهُ؛ فَجَاءَتِ الآيَةُ التَّالِيةُ لِتُبَيِّنَ حَجْمَ الخَطَأِ؛ بقَولِهِ سُبْحَانَهُ:﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾.واستَلْزمَ التَّعبيرُ بقَولِهِ سُبْحَانَه:(كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ) حِوارِيًّا أَنْ يَلِيَ هَذَا التَّخْويفَ والتَّرويعَ مِمَّا يُمقِتُهُ اللهُ، ذِكْرُ ما يُحِبُّهُ سُبْحَانَهُ؛ رَحْمَةً بعِبَادِهِ الــمُــؤْمِنينَ؛ لِذَا جَاءَتِ الآيَةُ التَّالِيَةُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ ﴾.

- **النِّدَاءُ الثَّاني:** يُمكِنُنا وَسْمُهُ بــــِ (نداءِ التَّشْويقِ)؛ حَيثُ تَلَاهُ قَولُهُ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ ﴾، فَأَيُّ تَشْويقٍ هَذَا الَّذي يُسَيْطِرُ عَلَى قُلُوبِ مَنْ سَمِعُوا النِّداءَ السَّابِقَ الذي تَضَمَّنَ اللَّومَ والعِتَابَ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾، وعَلَى القُلُوبِ نَفْسِهَا التِي اِستَمَعَتْ قَولَهُ: ﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ ﴿٣﴾ ﴾ فَبَعدَ هَذِهِ الدَّفعَةِ مِنَ اللَّومِ والعِتَابِ

---

١ - يُرَاجَعُ، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٧٢/٢٨.

والتَّرهيب؛ جاءَ النِّداءُ الثَّاني لِيُهَدِّئَ مِنْ رَوعِهم، ويَدفَعَهُم إِلَى بَابٍ جَدِيدٍ مِن أَبوَابِ التَّقْدِيسِ للهﷻ وحُسْنِ طَاعَتِهِ؛ فَجَاءَتِ البِشَارَةُ بِقَولِهِ: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ وهُنَا يَتجَلَّى التَّلَاحُمُ والتَّمَاسُكُ النَّصِّيُّ دَاخِلَ بنيَةِ وَاسِطَةِ عَقْدِ الـمُسَبِّحَاتِ؛ لِذَا كَانَتِ البِشَارَةُ بَعْدَ التَّهْدِيدِ بِقَولِهِ: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ فأيُّ فوزٍ أَكْبَرُ مِنْ مَغْفِرَةٍ، يَتْبَعُهَا جَنَّاتٌ وَمَسَاكِنُ طَيِّبَةٌ، وأَيُّ رَبٍّ أَحَقُّ بالتَّسْبِيحِ والتَّنزِيهِ والتَّقْدِيسِ مِنْ ربٍّ أَرْحَمَ بِعِبَادِهِ مِنْ أَنْفُسِهِم؟!

النِّدَاءُ الثَّالِثُ: جَاءَ النِّدَاءُ الأَخِيرُ فِي سُورَةِ الصَّفِّ متَّسِقًا ومُتَلَاحِمًا مَعَ النِّدَاءِ الأَوَّلِ الَّذي تَضَمَّنَ اللَّومَ والعِتَابَ مِنَ اللهﷻ لِعِبَادِهِ الَّذينَ لَمْ يَكُونُوا أَنْصَارًا للهﷻ بِتَلْبِيَةِ النِّدَاءِ إِلَى الجِهَادِ؛ لِذَا تَضَمَّنَ النِّدَاءُ الأَخِيرُ الدَّعوَةَ مِن جَدِيدٍ إِلَى العَودَةِ إِلَى ما يَستَوجِبُ تَقْدِيسَ اللهﷻ وطَاعَتَهُ، والإِذْعَانَ للأَمْرِ ﴿ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴿١٤﴾ ﴾؛ وثَمَّةَ مَلمَحٌ دَلَالِيٌّ لا يُمْكِنُنَا إِغْفَالُهُ؛ هُوَ أَنَّ مَنْ ضَرَبَ اللهﷻ بِهِمُ الـمَثَلَ للمُؤْمِنِينَ هُمُ الحَوَارِيُّونَ الَّذين نَصَرُوا عِيسَى عليه السلام؛ فأَيَّدَهُم اللهﷻ بِنَصْرِهِ وَعَوْنِهِ، ولَعَلَّ قَولَهُ تَعَالَى: ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴿١٤﴾ ﴾ يَتَّسِقُ دَلَالِيًّا مَعَ سَبَبِ لَومِ مَنْ يَنصُرُونَ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم في صَدَارَةِ الآيَاتِ.

٢/٥- سُورَةُ الجُمُعَةِ:

٢/٥/١- مُوجِبَاتُ التَّسْبِيحِ عَلَى مُسْتَوَى الوَحدَةِ النَّصِّيَّةِ الافتِتَاحِيَّةِ للسُّورَةِ: بَدَأَتِ السُّورَةُ بِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾.

ويَتكَرَّرُ السُّؤالُ، هُنَا: ما مُوجِبَاتُ تَسْبِيحِ ما في السَّمَوَاتِ وما في الأَرْضِ للهِ ربِّ العَالَمِينَ في هَذَا المَوضِعِ مِنْ سُورَةِ الجُمُعَةِ؟، وفي ضَوْءِ مُعْطَيَاتِ التَّمَاسُكِ النَّصِّيِّ جَاءَتِ الإِجَابَةُ في الآيَاتِ التَّالِيَةِ لِلآيَةِ الافتِتَاحِيَّةِ، وَهُوَ ذِكْرٌ لِحَدَثٍ تَغيَّرَ مَعَهُ تَارِيخُ البَشَرِيَّةِ بِأَكْمَلِهَا، وَهُوَ حَدَثُ بَعْثَةِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم؛ وهُنَا تَتَكَشَّفُ الحِكْمَةُ مِنَ التَّعبِيرِ بِلَفْظِ الفِعْلِ المُضَارِعِ (يُسَبِّحُ) بِصِيغَةِ المُضَارِعِ الذي يَعْكِسُ الدَّلَالَةَ عَلَى الاستِمْرَارِ في صَدَارَةِ الآيَةِ؛ فبِعثَةُ الرَّسُولﷺ لَمْ تَكُنْ حَدَثًا عَارِضًا انتَهَتْ آثَارُهُ، إِنَّما ظَلَّتِ

الدَّعْوةُ قَائِمَةً بِوُجُودِ الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ ورُسُوخِهِ إِلَى يومِنَا هَذَا ، وإِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ؛ فالآيَةُ التي تَلَتْ ذِكْرَ التَّسْبِيحِ بلَفْظِ (يُسَبِّحُ) هِيَ قولُهُ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ في ضَوْءِ آلِيَّاتِ القِرَاءَةِ النَّصِّيَّةِ للوَحْدَةِ النَّصِّيَّةِ الافتِتَاحيَّةِ في سُورَةِ الجُمُعَةِ يتَّضِحُ ما يَأْتِي:

- تَحقَّقَ التَّماسُكُ النَّصّيُّ عَبْرَ العُنصُرِ الإحَالِيِّ (هُوَ) الَّذِي يَعُودُ إِلَى لَفْظِ الجَلَالَةِ الـــمُـــتَقَدّمِ (الله) وهِيَ إِحَالَةٌ قَبليَّةٌ ذَاتُ مَدًى قَرِيب؛ أَدَّتْ إِلَى التَّمَاسُكِ بَينَ الآيَةِ الافتِتَاحِيَّةِ، وما يَلِيهَا مِنْ آياتٍ تَكْشِفُ مُوجبَاتِ التَّسْبِيحِ، ثُمَّ العُنْصُرُ الإحَالِيّ الثَّانِي (الَّذِي) الاسم الـــمَـــوُصُول بمَا بَعْدَهُ؛ مَعَ العِلْمِ بأَنَّ الأُمُورَ الـــمَذْكُورَةَ بَعْدَهُ هِيَ مُوجبَاتُ التَّسْبِيحِ في هَذِهِ السُّورَةِ.
- تَتمثَّلُ مُوجبَاتُ التَّنْزِيهِ هُنَا فِـــيمَا عَكَسَتْهُ الأَفْعَالُ الإِنْجَازِيَّةُ مِنْ دَلَالَاتٍ؛ مِـــثلَ الفِعْلِ:(بَعَثَ)، وكَذَلِكَ الفِعْلِ (يَتْلُو)، والفِعْلِ (يُزكِّيهم)، والفِعْلِ (يُعَلِّمُهُم)، وَقَدِ اكتَسَبَتْ تِلْكَ الأَفْعَالُ قُوَّتَها الإِنْجَازِيَّةَ مِنْ أَثَرِ ما أُسنِدَ إِلَى تِلْكَ الأَفْعَالِ مِنْ أُمورٍ تَغيَّرتْ مَعهَا الحيَاةُ التي عَهِدَها الكُفَّارُ.

فَمَنِ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ ذَلِكَ الرَّسُولَ الذي تَلَا عَلَيهم آيَاتِهِ، وزكَّاهُم، وعَلَّمَهُم الكِتَابَ، وعَلَّمَهُم الحِكْمَةَ؛ إِنَّهُ اللهُ ﷻ، وعَظُمتْ قُدْرتُهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ إِنَّهُ اللهُ الوَاحِدُ الأَحَدُ؛ لِذَا وَجَبَ تَنزِيهُهُ وتَقدِيسُهُ.

٢/٥/٢- مُوجبَاتُ التَّسْبِيحِ في نَسِيجِ السُّورَةِ: تَضَمَّنَتْ سُورَةُ الجُمُعَةِ الحَدِيثَ عَنِ السَّعْيِ إِلَى الرِّزْقِ بَعْدَ قَضَاءِ الصَّلَاةِ الـــمَـــفْرُوضَةِ؛لِذَا جَاءَتْ مُوجبَاتُ التَّسْبِيحِ عَلَى امتِدَادِ الآياتِ متَّسقَةً مَعَ هَذَا الـــمَـــقْصِدِ؛ مِنْ ذِكْرِ فَضْلِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وأَنَّهُ بَاسِطُ الرِّزقِ لَهُم، وعَنِ البِشَارةِ بالفَلَاحِ ونَيْلِ فَضْلِ اللهِ تَعَالَى؛ وهُوَ ما يُفَسِّرُ خَوَاتِيمَ الآيَاتِ الآتِيَةِ مِنْ سُورَةِ الجُمُعَةِ: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾، ثُمَّ ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾، ثُمَّ ﴿ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾، ثُمَّ ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾.

٢/٦- سُورَة التَّغَابُنُ:

٢/٦/١- مُوجِبَاتُ التَّسْبِيحِ عَلَى مُسْتَوَى الوَحْدَةِ النَّصِّيَّةِ الافْتِتَاحِيَّةِ لِلسُّورَةِ: بَدَأَتِ السُّورَةُ بِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١ ﴾؛ فَالسُّؤَالُ المِحْوَرِيُّ هُوَ: ما مُوجِبَاتُ تَسْبِيحِ ما في السَّمَوَاتِ وما فِي الأَرْضِ للهِ ربِّ العَالَمِينَ في هَذَا المَوضِعِ مِنْ سُورَةِ التَّغَابُنِ؟ وَتَكْمُنُ الإجابةُ في ذِكْرِ بَعضِ مَظَاهِرِ قُدرةِ اللهِ ﷻ، التي تَفرَّدَ بِهَا، لَا يُنازِعُهُ فِيهَا أَحَدٌ؛ حَيثُ كَشَفَتِ الآيَاتُ التَّالِيَةُ لِلآيَةِ الافتِتَاحِيَّةِ عَنْ مُوجِبَاتِ تَنْزِيهِ اللهِ ﷻ؛ وهِيَ عَلَى التَّرتيبِ الآتي:

- القُدُرَاتُ التي جَاءَتْ في صَدَارَةِ الآيَاتِ التَّالِيَةِ لِلآيَةِ الافتِتَاحِيَّةِ:﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم ٢ ﴾، ثُمَّ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ ٣ ﴾،ثُمَّ﴿ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ ٣ ﴾،ثُمَّ ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ ٤ ﴾.

٢/٦/٢- مُوجِبَاتُ التَّسْبِيحِ في نَسِيجِ السُّورَةِ وخَواتِيمِهَا: جَاءَتْ مُوجِبَاتُ التَّنْزِيهِ للهِ سُبْحَانَهُ في سُورَةِ التَّغَابُنِ مُرتبطَةً، أَيْضًا، بما تَفَرَّدَ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،؛ فَكُلُّ ما في السَّمَوَاتِ والأَرْضِ سَبَّحَهُ لأَنَّهُ هُو الخالقُ بالحقِّ، وَهُوَ الَّذِي صَوَّرَ بَنِي آدَمَ في الأَرْحَامِ كَيفَ يَشَاءُ، ولأَنَّهُ هُوَ الَّذي يَعْلَمُ ما في السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، ويَعْلَمُ ما نُسِرُّ وما نُخْفِي؛ فَمِنْ ثَمَّ؛ فَهُوَ الأَحَقُّ بالتَّنْزِيهِ والتَّسْبِيحِ والتَّقْدِيسِ سُبْحَانَهُ:﴿ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ ﴾،ثُمَّ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ٩ ﴾،ثُمَّ﴿ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ٩ ﴾،﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ ١١ ﴾،ثُمَّ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ١٣ ﴾. وقَد جَاءَتْ في فَوَاصِلِ الآيَاتِ التَّالِيَةِ لِلآيَةِ الافْتِتَاحِيَّةِ:

﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ﴾، ثُمَّ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢ ﴾،ثُمَّ﴿ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ ﴾، ثُمَّ ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤ ﴾، ثُمَّ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٦ ﴾،ثُمَّ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ٨ ﴾، ثُمَّ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١ ﴾، ثُمَّ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾،ثُمَّ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾، ثُمَّ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾، ثُمَّ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾، ثُمَّ ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾.

تَكْشِفُ تِلْكَ الفَوَاصِلُ؛ كَمَا كَشفَتْ صُدُورُ آياتِها، عَمَّا تَفرَّدَ بهِ سُبْحَانَهُ؛ فَجَاءَتِ الفَوَاصِلُ بالأَلْفَاظِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى العُمُومِ الـمُطْلَقِ، والشُّمُولِ والإِحَاطَةِ؛ مِثْلَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ: عَلَى **كُلِّ شَيءٍ** قَدِيرٍ، **بِكُلِّ شَيءٍ** عَلِيمٍ، بما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ،؛ وَمِنْ ثَمَّ؛ وَجَبَ تَقْدِيسُهُ وتَنزيهُهُ وإِجلالُهُ.

وأَرْصُدُ، هُنَا، مَدَى الاِتِّسَاقِ والتَّناغُمِ بَينَ تِلْكَ الفَوَاصِلِ الـمَذْكُورَةِ في تِلْكَ الـمواضِعِ، والفَوَاصِلِ الأُخرَى، وتَحَدِيدًا في سُورَةِ الحَدِيدِ؛ الأَمرُ الذي يَعْكِسُ التَّنَاسُقَ الدِّلَالِيَّ، والتَّمَاسُكَ النَّصِّيَّ بَينَ سُوَرِ الـمُسَبِّحَاتِ مَعَ تَبَاعُدِهَا.

٢/٧- سُورَةِ الأَعْلَى:

٢/٧/١- مُوجِبَاتُ التَّسْبِيحِ عَلَى مُسْتَوَى الوَحْدَةِ النَّصِّيَّةِ الافتِتَاحِيَّةِ للسُّورَةِ:

سُورَةُالأَعْلَى السُّورَةُ الوَحيدَةُ الّتِي جَاءَتْ بِدَايتُهَا بصِيغَةِ الأَمْرِ (سَبِّحْ)، وذَلِكَ في قوله تَعَالَى:﴿ **سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾** ﴾ في ضَوْءِ مُعْطَيَاتِ القِرَاءَةِ النَّصِّيَّةِ؛ فإنَّ القُوَّةَ الإِنْجَازِيَّةَ لفِعْلِ الأَمْرِ، قَائِمًا بِصِيغَتِهِ، تَحْمِلُ العَدِيدَ مِنَ الدَّلَالَاتِ؛ فَالأَمْرُ بتَسْبِيحِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وتَنْزِيهِهِ، وتَقْدِيسِهِ، قَدْ جَاءَتْ مُوجِبَاتُهُ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ في الآيَةِ الافتِتَاحِيَّةِ ذَاتِها؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ **سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى** ﴾،فَجَاءَ وَسْمُ الأَعْلَى عَلَى صِيغَةِ أَفعَلِ التَّفْضِيلِ، لِتَعكِسَ دَلَالَةَ السُّمُوِّ والرِّفعَةِ الـمُطلَقَةِ؛ فَكَونُهُ الرَّبَّ الأَعْلَى فَهُوَ الـمُسْتَحِقُّ للتَّنْزِيهِ والتَّقْدِيسِ.

٢/٧/٢- مُوجِبَاتُ التَّسْبِيحِ في نَسِيجِ السُّورَةِ: يَكْشِفُ التَّمَاسُكُ النَّصِّيُّ بَينَ الآيَةِ الافتِتَاحِيَّةِ، وما يَلِيهَا مِنْ آيَاتٍ عَنْ مُوجِبَاتِ التَّقْدِيسِ والتَّنْزِيهِ في هَذِهِ السُّورَةِ؛ فَقَدِ اعتَمدَ عَلَى عُنصرٍ إِحالِيٍّ بَعْدِيٍّ ذِي مَدًى قَرِيبٍ، وَهُوَ الاِسْمُ الـمَوصُولُ (الَّذِي) ، الَّذي تَلَاهُ أَفْعَالٌ إِنْجَازِيَّةٌ تَفَرَّدَ بِهَا الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهِيَ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿ **ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾** ﴾، و﴿ **قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾** ﴾،﴿ **وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴿٥﴾** ﴾و﴿ **يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴿٧﴾** ﴾. ويُلَاحَظُ، في تَصوُّرِي، أَنَّ تَوَسُّطَ الفَاءِ العَاطِفَةِ الدَّالَّةِ عَلَى القُدْرَةِ الـمُطلَقَةِ أَكْثَرَ مِنْ دَلَالَتِها عَلَى السُّرْعَةِ أو التَّرتِيبِ والتَّعْقِيبِ؛ فاللهُ

وَحْدَهُ الَّذي خَلَقَ، وَهُوَ وَحْدَهُ الّذِي سَوَّى ما خَلَقَ، وَهُوَ الَّذي قدَّرَ الأقْدَارِ، ولهُ القُدْرةُ عَلَى الهُدَى بمشِيئَتِهِ، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي أَخْرَجَ الـــمَرْعَى؛ لِتَكُونَ سَبَبًا في بَقاءِ خَلْقِهِ.

ويَتَّضِحُ، أَخِيرًا، أَنَّهُ قَدْ جَاءَتْ مُوجِبَاتُ التَّسْبِيحِ مُتَنَوِّعَةً وجَامِعَةً لِكُلِّ قُدْرَةٍ مِنْ قُدرَاتِ الـــمَـــولَى ﷻ، وَهِيَ قُدرَاتٌ تَفَرَّدَ بِهَا سُبْحَانَهُ، وَقَدْ كَانَتْ سُورَةُ الإِسْرَاءِ أَكْثَرَ تِلْكَ السُّوَرِ اِشتِمَالًا عَلَى مُوجِبَاتِ التَّسْبِيحِ، وأَنَّ تِلْكَ الـــمُوجِبَاتِ لَمْ تَكُنْ تَخُصُّ الـــمُـــؤْمِنِينَ وَحْدَهُم، وَإِنَّما هِيَ أُمُورٌ ثَابِتَةٌ لِلْحَقِّ ﷻ، تَسْتَوجِبُ تَقدِيسَ عِبَادِهِ إِيَّاهُ، خَاصَّةً وأَنَّ مِنْ تِلْكَ الـــمُوجِبَاتِ ما زَلْزَلَ قلُوبَ الـــمـــُشْرِكِينَ أَنفُسِهِم.

- رابعا: **الخَاتِمَةُ:**

حَاوَلْتُ فِي هَذَا البَحْثِ دِرَاسَةَ سُوَرِ الـمُسَبِّحَاتِ السَّبْعِ دِرَاسَةً نَصِّيَّةً؛ بِوَصفِهَا نَصًّا مُتَكَامِلًا مُتَّصِلًا مُتَمَاسِكًا، وَفْقَ مُعْطَيَاتِ عِلْمِ اللُّغَةِ النَّصِّيِّ، وَقَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى عِدَّةِ نَتَائِجَ؛ مِنْهَا:

أَوَّلًا: شَمِلَ التَّسْبِيحُ سُوَرَ الـمُسَبِّحَاتِ السَّبْعِ، مِنْ أَوَّلِ سُورِها إِلَى آخِرِ سُورَةٍ فيهَا؛ لِذَا يُمكِنُنَا تَصوُّرُهَا؛ بِوَصْفِهِ رِسَالَةً نَصِّيَّةً وَاحِدَةً مُتَّصِلَةً ومُتَلَاحِمَةً مِنَ اللهِ ﷻ إِلَى الإِنْسَانِ؛ مَفَادُهَا: أَيُّهَا الإِنْسَانُ، لَقَدْ أَثْنَيْتُ عَلَى نَفْسِي، وأَثْنَانِي جَمِيعُ مَنْ خَلَقْتُ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، ومازَالُوا يُثنُونَ عَلَيَّ، فَالزَمْ أَنْتَ، أَيُّهَا الإِنْسَانُ، هَذَا الثَّنَاءَ؛ فاللهُ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَدْ جَعَلَ التَّسْبِيحَ دَيدَنَ مَنْ خَلَقَ، وَمَا خَلَقَ، مُنْذُ أَنْ أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ بِصِيغَةِ الـمَصْدَرِ "سُبْحَانَ"، التي لا تَقْترِنُ بالدَّلَالَةِ عَلَى زَمَنٍ بِعَينِهِ؛ فاللهُ ﷻ هُوَ الـمُنَزَّهُ لذَاتِهِ وبِذَاتِهِ، دُونَ الاقتِرَانِ بِزَمَنٍ مُحَدَّدٍ.

وَمِنْ ثَمَّ؛ فَالتَّسْبِيحُ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ ما خَلَقَ اللهُ ﷻ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ فِي جَمِيعِ الأوقاتِ، فِيمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ، ثمَّ الزَّمَانِ الحَالِي؛ وَهُوَ الـمُضَارِعُ؛ لِذَا جَاءَ خِتَامُ سُوَرِ الـمُسَبِّحَاتِ بِصِيغَةِ الأَمْرِ الـمُوَجَّهِ إِلَى الإِنْسَانِ بِأَنْ يَلْزَمَ الثَّنَاءَ عَلَى اللهِ ﷻ بالتَّسْبِيحِ بِقَولِهِ: سَبِّحْ، والأَمْرُ دَالٌّ عَلَى الاِسْتِقْبَالِ بِلَفْظِهِ؛ لِيَظَلَّ تَسْبِيحُ اللهِ ﷻ وتَنْزِيهُهُ، سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، أَبَدَ الدَّهْرِ مِنْ عِبَادِهِ.

ثَانِيًا: يُمكِنُنَا تَصَوُّرُ اِقتِرَانِ صِيغَةِ الأَمْرِ: سَبِّحْ بالإِنْسَانِ دُونِ غَيرِهِ فِي سُوَرِ الـمُسَبِّحَاتِ؛ بِأَنَّ الأَمْرَ مِنَ اللهِ تَكْلِيفٌ، والتَّكْلِيفُ مِنَ اللهِ تَكْرِيمٌ وتَشْرِيفٌ، وَهُوَ ما يَتَّسِقُ مَعَ مَكَانَةِ الإِنْسَانِ؛ بِوَصْفِهِ خَلِيفَةَ اللهِ فِي الأَرْضِ؛ لِذَا فَإِنَّ هَذَا الفِعْلَ لا يَأْتِي إِلَّا بتَكْلِيفٍ مِنْ رَبِّهِ، لا عَنْ فِطْرَةٍ جُبِلَ عَلَيهَا؛ وَهُوَ ما يُلْزِمُ الإِنْسَانَ أَنْ يُزْعِنَ لِأَمْرِ رَبِّهِ بِلُزُومِ التَّسْبِيحِ، الَّذِي لَا يَأْتِي إِلَّا عَنْ مُكَابَدَةٍ وِالْتِزَامٍ، لَا عَنْ فِطْرَةٍ واعْتِيادٍ.

ثَالِثًا: تَبَيَّنَ لَنَا مَدَى الاِتِّسَاقِ والتَّلَاحُمِ فِي ضَوْءِ آلِيَّاتِ التَّمَاسُكِ النَّصِّيِّ، مَعَ تباعُدِ سُوَرِ الـمُسَبِّحَاتِ؛ مِنْ أَوَّلِ سُوَرِها إِلَى آخِرِها؛ أَعنِي بينَ سُورَتَي: الإِسْرَاءِ، والأَعْلَى، مَعَ تباعُدِهِما فِي الـمُصْحَفِ، لَكِنْ يَظَلُّ الارتِبَاطُ بَينَهُما وَثِيقًا؛ وَفْقًا لِتِلْكَ القِرَاءَةِ النَّصِّيَّةِ؛ فَلَيْسَ مِنْ قَبِيلِ الـمُصَادَفَةِ أَنْ يَلِيَ لَفْظَ التَّسْبِيحِ فِي السُّورَتينِ عُنْصُرٌ إِحَالِيٌّ وَاحِدٌ، وَهُوَ (الَّذي)، وأَنْ تَكُونَ الإِحَالَةُ بَعْدِيَّةً ذَاتَ الـمَدَى القَرِيب، وأَنْ تَكُونَ الـمَرْجعيَّةُ الإِحَالِيَّةُ إِلَى أُمُورٍ لا يَقْدِرُ عَلَيهَا إِلَّا مَنْ وَجَبَ لَهُ التَّسْبِيحُ والتَّنْزِيهُ عنْ كُلِّ نُقْصَانٍ، عَلَى نَحْوِ ما وَرَدَ فِي كُلِّ سُورَةٍ مِنهُمَا.

رابعًا: كَشَفَتِ الدِّرَاسَةُ النَّصِّيَّةُ لِسُوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ أَنَّ قَولَهُ تَعَالَى ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ ﴾ مِنْ أَكْثَرِ الفَوَاصِلِ القُرْآنِيَّةِ وُرُودًا في افتِتَاحِيَّاتِ آيَاتِ سُوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ؛ وَهُوَ الأَمْرُ الَّذي يَتَّسِقُ مَعَ مُوجبَاتِ التَّسْبيحِ الَّذي يَعْكِسُ دَلَالَةَ التَّنْزيهِ والتَّقْدِيسِ؛ فَدَلَالَةُ لَفْظِ العَزِيزِ؛ كَمَا تُشِيرُ الـــمَعَاجِمُ وأَقْوَالُ الـــمُفَسِّرِينَ، أَنَّها مِنْ:"عَزَّ"، وَهُوَ القَادِرُ الَّذي لا يُغْلَبُ، وَلَا يُنَازِعُهُ، ولا يُخَالِفُهُ أَحَدٌ، وَهُوَ الَّذِي يَقْهَرُ ولَا يُقْهَرُ. كَمَا أَنَّ الحَكِيمَ، تُشِيرُ إِلَى الـــمَـــوصُوفِ بالحِكْمَةِ، الَّذي يَضَعُ الأُمُورَ في مَوَاضِعِهَا؛ فَلَا يُخْطِئُ، ولَا يَتَخَلَّفُ، ولَا يَحُولُ دُونَهُ حَائِلٌ، والحَكِيمُ: الَّذي يَضَعُ الأَشْيَاءَ في أَتْقَنِ مَوَاضِعِهَا؛ لِذا وَجَبَ تَنْزِيهُهُ وتَقْدِيْسُهُ.

خَامِسًا: أَثبَتَتِ الدِّرَاسَةُ أَنَّ فِكْرَةَ دِرَاسَةِ سُورِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ؛ بِوَصْفِهَا وَحدَةً نَصِّيَّةً كُبْرَى، تَصِلُ بنا إِلَى ما بَينَها مِنْ رابطٍ رئِيسٍ؛ هُوَ مَوضُوعُ التَّسْبِيحِ ومُوجِبَاتُهُ.

سادسًا: كَشفَتِ الدِّرَاسَةُ عن أَبْعَادٍ جَمَالِيَّةٍ عَمِيقَةٍ، ما كَانَ لها لِتَتَكَشَّفَ عَنْ دِرَاسَةِ كُلِّ سُورَةٍ مُنْفَرِدَةٍ؛ الأَمرُ الَّذي يُمَهِّدُ الطَّرِيقَ أَمَامَ الدِّراسِينَ لَمزِيدٍ منَ الدِّرَاسَاتِ الـــمـــُـماثلةِ حَوْل سُورِ الطُّوَاسِين، وسُوَرِ الحَوَامِيم، أَو تِلْكَ التي بَدَأَتْ بالحَمْدَلَةِ؛ أَعني الحَمْدَ للهِ.

سَابعًا: رَأَيْتُ أَنَّهُ قَدْ جاءَتْ مُوجِبَاتُ التَّسْبِيحِ الواردَةُ في سُورَةِ الإِسْرَاءِ أَعَمَّ وأَشْمَلَ مِن بَاقِي سُوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ، وقَدْ تَضَمَّنَتِ تِلْكَ الـــمُوجبَاتُ السَّوَادَ الأَعْظَمَ مِمَّا تَفرَّدَ بِهِ الـــمَـــوْلى سُبْحَانَهُ؛ فَأَوْجبَتْ تَنْزِيهَهُ وَتَقْدِيسَهُ.

ثَامِنًا: تَوَصَّلَتِ الدِّرَاسَةُ النَّصِّيَّةُ لِسُوَرِ الـــمُـــسَبِّحَاتِ أَنَّ الأَحْدَاثَ الَّتِي تَلَتْ أَلْفَاظَ التَّسْبِيحِ الـــمُتَنَوِّعَةَ في صَدَارَةِ كُلِّ سُورَةٍ، هِيَ أَحْدَاثٌ شَكَّلَتْ تَاريخَ البَشَرِيَّةِ، وغَيَّرتْ مَجرَى التَّاريخِ البَشَرِيِّ، كَمَا أَنَّها أَحْدَاثٌ مُتَفَرِّدَةٌ لَمْ ولَنْ تَتَكرَّرَ؛ وذَلِكَ عَلَى النَّحوِ الآتِي:

- جاءَ، في سُورَةِ الإِسْرَاءِ، حَدَثُ (الإِسْرَاءِ والـــمـــعرَاجِ) الَّذي هَزَّ أَرْجَاءَ الجزيرةِ العَرَبيَّةِ كُلِّهَا، وجَعَلَ مَنْ يُشَكِّكُونَ فِي نُبُوَّةِ محمَّدٍﷺ يَتَوَقَّفُونَ عِنْدَ ذَلِكَ الحدَثِ؛ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ الرَّسُولُ الحَقُّ، كَمَا أَنَّ الحَدَثَ ذَاتَهُ قَدْ جَعَلَ مَنْ يُؤمِنُونَ بِهِ صلى الله عليه وسلم يَقِفُونَ مَشْدُوهِينَ إِلَى عَظَمَةِ الخالِقِ وَقُدرتِهِ.

- شَمِلَتْ سُورَةُ الحَدِيدِ عَدَدًا مِنَ الأَحداثِ التي تَشْهَدُ بعَظَمَةِ الخالِقِ، وَقُدْرَتِهِ؛ لِذَا كَانَ تَنزيهُهُ وتَقْدِيسُهُ مُقَدَّرًا ومَحتُومًا؛ وتَمثَّلَتْ تِلْكَ الأَحداثُ في (خَلْق السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، والأَحْيَاءِ والمَوتِ، والعِلْمِ المُطْلَقِ بِبوَاطِنِ الأُمُورِ وظَوَاهِرِها، تَحَكُّمُهُ، سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، في تَعَاقُبِ اللَّيلِ والنَّهَارِ).
- جَاءَ الحَدَثُ جَلَلًا، في سُورَةِ الحَشْرِ؛ وَهُوَ (إخْرَاجُ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ دِيارِهِم)، وقَدْ كَشَفَ هَذَا الحَدَثُ عَجْزَهُم أَمَامَ قُدرَةِ اللهِ، سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، حِينَ ظَنُّوا أَنَّهُم لَنْ يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِم الحَصِينَةِ؛ فَكَانَتْ مَشِيئَةُ اللهِ فَوقَ مَشِيئَتِهِم، وَقُدْرَتِهِ، سُبْحَانَهُ، فَوقَ قُدرَتُهم؛ فَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِم، وكَتَبَ اللهُ عَلَيهِم الجَلَاءَ، بَلْ قَذَفَ في قُلُوبِهِم الرُّعْبَ الَّذِي جَعَلَهُم يُخَرِّبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيدِيهِم.
- تُمثِّلُ سُورَةُ الصَّفِّ وَاسِطَةَ العَقْدِ بَينَ سُوَرِ المُسَبِّحَاتِ؛ إِذْ ضَمَّتْ ذِكْرَ ثَلَاثَةِ أَحْدَاثٍ مِحْوَرِيَّةٍ في تَارِيخِ البَشَرِيَّةِ، تَتَعَلَّقُ جَمِيعُهَا بِبَعْثَةِ رُسُلِ اللهِ الثَّلَاثَةِ (نَبِي اللهِ مُوسَى، ونَبِيِّهِ عِيْسَى، وخَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم؛ وَهُوَ مَا يَتَجَلَّى في ثَلَاثَةِ مَواضِعَ، عَلَى امتِدَادِ السُّورَةِ، هِيَ: "وإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَومِهِ، وإِذْ قَالَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسرَائِيلَ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى ودِينِ الحَقِّ".
- جَاءَ حَدَثُ (بَعْثَةِ النَّبِيِّ مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم) في سُورَةِ الجُمُعَةِ؛ إِذْ هُوَ الحدَثُ الَّذِي تَغَيَّرَ مَعَهُ تَارِيخُ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ خَاصَّةً، والعَالَمُ كُلُّهُ عَامَّةً.
- جَاءَ حَدَثُ (خَلْقِ الإِنْسَانِ والسَّمَوَاتِ والأَرْضِ) في سُورَةِ التَّغَابُن؛ ونَظَرًا لأَنَّهُ ﷻ الخَالِقُ؛ فَهُوَ الَّذي صَوَّرَ خَلْقَهُ في أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَهُوَ الأَعْلَمُ بِمَا في السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، بَلْ بما تُخفِي الصُّدُور أَوْ تُعْلِنُهُ.
- في سُورَةِ الأَعْلَى: جَاءَ حَدَثُ (خَلْقِ الإِنْسَانِ)؛ أَيْ خَلْقَ اللهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، للإِنْسَانِ، وتَسْوِيَتَهُ في أَحْسَنِ صُورةٍ، وَهُوَ الحَدَثُ الَّذي يَتَّسِقُ مَعَ مَنْ تَمَّ تَوْجِيهُ الأَمْرِ بالتَّسْبِيحِ لَهُ، وَهُوَ الإِنْسَانُ.

تَاسِعًا: كَشَفَتِ الدِّرَاسَةُ عَنْ بُعْدٍ جَدِيدٍ مِن أَبْعَادِ الدِّرَاسَةِ النَّصِّيَّةِ؛ هُوَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ لِلْجُمَلِ الاِسْمِيَّةِ قُوَّةٌ إِنْجَازِيَّةٌ لا تَقِلُّ أَهَمِّيَّةً عَنْ قُوَّةِ الأَفْعَالِ الإِنْجَازِيَّةِ التي تَنَاوَلَها عُلَمَاءُ لُغَةِ النَّصِّ بالدَّرْسِ؛ والدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ القُوَّةُ الإِنْجَازِيَّةُ التي تَضَمَّنَتها فَوَاصِلُ سُورَةِ الحَدِيدِ، عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ، وَقَدْ حَقَّقَتْ دَرَجَةَ التَّأْكِيدِ ذَاتَها التي حَقَّقَتْها الأَفْعَالُ الإِنْجَازِيَّةُ في سُورَةِ الإِسْرَاءِ.

- **خامسا: قائمة الـــمَصَادِر والـــمَرَاجع:**

- آباديّ، أبو الطَّيِّبِ محمد شَمس الحقِّ العَظيمِ، عَونُ الـــمــــعبودِ شَرحُ سُنَنِ أبي دَاوُودَ، معَ شرحِ ابنِ قيِّمِ الجَوزيَّةِ، تَحْقِيقُ: عبد الرَّحمن محمد عُثمان، النَّاشِرُ: محمد عبد الـــمـــحسن الكلبيّ، ط٢، ١٣٨٩هـــ .
- الأصفهاني، أبو القاسم الحُسَين بن محمد، الـــمـــفردات في غريب القرآنِ، مَكْتَبَة نزار مصطفى الباز، القاهرة، د.ت.
- الأُلوسِيّ، شهاب الدِّين السَّيِّد مَحْمُود، رُوح الـــمَعَانِي في تَفْسِير القرآنِ والسَّبْع الـــمَثَانِي،ط١، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، د.ت.
- الباقلَّانيّ، أبو بكر محمد بن الطَّيِّبِ بن محمد، إعجَاز القُرآنِ، تَحْقِيقُ: السَّيِّد صقر، ط٣، دار الـــمـــعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
- بحيري، سعيد، علم لُغةِ النَّصِّ الـــمـــفاهيمِ والاتّجاهاتِ ط١، الشَّركة الـــمـــصريَّة العالـــمـــيَّة للنشر لونجمان، القاهرة، ١٩٩٧م.
- البقاعي، بُرْهَان الدِّين أبو الحُسَين إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسُبِ الآياتِ والسُّوَر، تَحْقِيقُ: عبد الرَّزَّاق غالب الـــمَهْدِيّ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
- البهوتيّ(ت ١٠٥١)، منصور بن يونس بن إدريس، شَرح منتهى الإراداتِ، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.
- البيهقيّ، أَحمد بن الحُسَين، الجامعُ لِشُعبِ الإيمان، تَحْقِيقُ: عبد العليّ حامد، ط١، مَكْتَبَة الرشد، الرِّياض، ٢٠٠٣م.
- التِّرمذِيّ، حَمَد بن عِيسَى، سُنَنُ التِّرمذيّ، تَحْقِيقُ: إبراهيم عَطْوة عوض، ط٢، مطبعة الحلبيّ، القاهرة،١٩٧٥م .
- ابن تيمية (ت ٧٢٨هـــ)، تقي الدين أبو العبَّاس أحمد بن عبدالحليم، مجموعة الرَّسائلِ والـــمـــسائلِ، علَّق عليهِ: محمد رشيد رضا،ط١، لجنة التُّراثِ العربيّ، القاهرة، ١٩٨١م.
- الثَّقَفِيّ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، البُرْهَان في تناسب سور القرآن، تَحْقِيقُ: سعيد بن جمعة التُّركِيّ، ط١، دار ابن الجوزي، الدَّمام، ١٤٢٨هـــــ .
- ج.ب.براون.ج.يول، تحليل الخطاب، ترجمة:محمد الزليطيّ، منير التريكيّ، جامعة الـــمـــلك سعود، الرياض، ١٩٩٧م.
- الجرجانيّ، أبو الحسن عليّ بن محمد، التعريفات، تقديم: أحمد مطلوب، دار الشُّؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٦م.
- الجوهريّ، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٨هـــ) تَحْقِيقُ: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربيّ، مصر، ١٩٥٦م.
- ابن حنبَل، أحمد، مُسْنَد الإمام أحمد، (الـــمـــوسُوعة الحديثيَّة)، أَشْرَفَ عَلَيهَا: عبد الله بن عبد الـــمـــحسن التركي، أشرف عَلَى التَّحْقِيقِ: شُعَيب الأرنؤوط ط٢، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ١٤٢٠هـــــ.
- خَطَّابيّ، محمد، لسانيَّات النَّصِّ، ط٢،الـــمـــركز الثَّقافيّ العربيّ، الـــمـــغرب، ٢٠٠٦م.

- خليل، حلمي، مقدِّمة لدراسةِ التُّراث الـــمـــعجميّ العربيّ،ط١، دار النَّهضة العربيّة للطِباعة والنَّشر، بيروت، د.ت.
- خمري، حُسَين، نظريَّة النَّصِّ، من بنية الـــمـــعنى إلى سيميائيَّةِ الدَّالّ، ط١، الدار العربيّة للعلوم، بيروت، ٢٠٠٧م.
- الدَّارميّ، سنن الدارميّ، تَحْقِيقُ: حُسَين سليم أسد الدَّارانّي، ط١، دار الـــمـــغني للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، ١٤٢١هـــــ.
- دي بوجراند، روبرت، النَّصُّ والخِطابُ والإجراءُ، ترجمة تمام حسان، ط١ ، عالـــمـــ الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- الرّحيبانيّ(ت١٢٤٣هـــ)، مصطفى بن سعد عبده، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى،ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت،١٩٩٤م.
- الزَّرْكَشِيّ (ت٧٩٤هـــــ)، بَدْر الدِّين محمد بن عبد الله، البُرْهَان في علوم القرآن، تَحْقِيقُ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الـــمـــعرفة، بيروت، ١٣٩١هـــــ -١٩٧٢م.
- الزَّمخشريّ(ت٥٣٨هـــ)، أبو القاسم جار الله مَحْمُود بن عمر، الكشَّاف عن حقائق غوامضِ التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـــ.
- السَّخَاوِيّ(ت ٦٤٣هـــــ)، علم الدِّين علي بن محمد جمال، القراء وكمال الإقراء، تَحْقِيقُ: علي حُسَين البواب،ط١، مَكْتَبَة التُّراث، مكة الـــمُكَرَّمَة، ٢٠٠٨م .
- ابن سلام(ت٢٢٤هـــ)، أبو عبيد القاسم، فضائلُ القرآن ومعالـــمـــهُ وآدابهُ، تَحْقِيقُ: أحمد بن عبد الواحد الخيَّاطي، مطبعة فضالة، الـــمـــغرب، ١٩٩٥م.
- السيوطي(ت٩١١هـــ)، جلال الدِّين، الإتقان في علوم القرآن، تَحْقِيقُ: شُعَيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٨م.
- الشافعي(ت٢٠٤هـــ)، محمد بن إدريس، الرسالة، تَحْقِيقُ: عبد اللَّطيف الهميم، وماهر ياسين الفحل، ط١، دار الكتب العلميَّةِ، بيروت، ٢٠٠٥م.
- الشرّبيني(ت٩٧٧هـــ)، شمس الدين محمد بن محمد الخطيب، مغني الـــمـــحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، تحقيق: علي محمد عوض، عادل عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
- الشوكانيّ(ت١٢٥٠هـــــ)، محمد بن علي، فَتْح القديرِ الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التَفْسِير، ط١، مَكْتَبَة الرُّشد، الرياض، ١٤٢٢هـــــ.
- الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م .
- ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتَّنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ت.
- عبد الكريم، أشرف عبد البديع ، الدَّرس النّحويّ النَّصِّيّ في كتب إعجاز القرآن، ط١، مَكْتَبَة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- العبد، محمد، اللغة والإبداع الأدبيّ، ط١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٨٩م.

- عبد النور، جبور، المعجم الأدبي،ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- عزام، محمد، النَّصُّ الغائب،ط١، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
- عفيفي، أحمد، نحو النَّصِّ، اتجاه جديد في الدرس النّحويّ، ط١، مَكْتَبَة زهراء الشرق، القاهرة ، ٢٠٠١م .
- اِبْن عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيّ(ت٥٤٦هـ)، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرَّحمنِ، المُحرَّر الوجيزُ في تَفْسِيرِ الكتابِ العزيزِ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٣م.
- عمر، أحمد مختار، علم الدلالة ، مَكْتَبَة دار العروبةِ للنَّشْرِ والتَّوزيع، ط١، الكويت ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م.
- أبو غزالة ، إلهام، علي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النَّصِّ، ط٢، الهيئة المصريّة العامَّة للكتابِ، ١٩٩٩م .
- الغزاليّ(ت٥٠٥هـ)، أبو حامد، المُستصفى في علمِ الأُصولِ، تَحْقِيقُ:محمد عبد السلام، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٣هـ.
- ابن فارسٍ، أبو الحُسَين أحمد، مقاييس اللغة، تَحْقِيقُ: عبد السلام هارون، ط٢، دار الفكرِ، بيروت، ١٩٧٩م.
- الفراهيديّ،(ت١٧٥ه)، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، معجم العين، تَحْقِيقُ: مَهْدِيّ المخزوميّ، وإبراهيم السَّامرائيّ، دار الرَّشيد للنَّشر، العراق، ١٩٨٧م.
- فضل، صلاح، بلاغةُ الخطابِ وعِلْم النَّصِّ، المجلس الوطنيّ للثَّقافةِ والفنونِ والآدابِ، الكويت، سلسلة عالم المعرفةِ، ١٦٤، أغسطس١٩٩٢م.
- الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللُّغة النَّصِّيِّ بين النَّظرية والتَّطبيق دراسة تطبيقيَّةٌ على السُّوَر المكيَّة، ط١، دار قباء للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٠م .
- الفيروز آبادي(ت ٨١٧هـ) ، أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت ١٩٨٧م.
- القرطبي (ت ٦٧١هـ)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمَّنه من السُّنَّة وآي الفُرقان، تَحْقِيقُ: عبد الله بن عبد المحسن التُّركيّ، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- قطب، مصطفى، دراسة لغوية لصور التماسك النّصّيّ في لُغةِ الجاحظِ والزَّيَّات، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٩٦م.
- ابن كَثِيرٍ(ت ٧٧٤هـ)، إسماعيل بن عمر، تَفْسِير القرآنِ العظيمِ، تَحْقِيقُ: سامي بن محمد السَّلَامة، ط٢، ١٩٩٩م.
- ابن كَثِيرٍ، عماد الدِّين أبو الفداء إسماعيل، مختصر تَفْسِير ابن كَثِيرٍ، تَحْقِيقُ: محمد علي الصَّابُونِيّ، دار التُّراث العربيّ، القاهرة، ١٩٨٧م.
- الكفويّ (ت١٠٩٤هـ) أبو البقاء، الكليات، تَحْقِيقُ: عدنان درويش، ومَحْمُود المصري، دار الرشد، دمشق، ١٩٦٧م.
- المباركفوريّ ، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي، تَحْقِيقُ: رائد بن صبري بن أبي علفة، بيت الأفكار الدَّوليَّة، عمان والرّياض، د.ت .

- أبو الـــمـــكارم، علي، الظَّواهر اللُّغَوِيَّة في التُّراث النَّحويّ "الظواهر التركيبيَّة"، القاهرة الحديثة للطباعة، ١٩٦٨م.
- ابن منظور، جمال الدِّين بن مكرم الأنصاري، مُعجم لسَانِ العربِ، دار إحياء التُّراث العربِيّ، بيروت، ط٣، ٢٠٠٠م.
- الهارنوفوريّ، خليل أحمد، بَذْلُ الـــمَـــجهُودِ في حَلِّ أبي داوودَ، تعليقُ:زكرِيَّا الكاندهلويّ،ط٣، الـــمَكْتَبَة الإمداديَّة، ١٤٠٤هـــــ.
- يوسف، أحمد يوسف علي، دوائر النقد الأدبي، مَكْتَبَة الأنجلو الـــمـــصرية، ط١، ١٩٨٩م .
- **ثَالِثًا: الدَّوريَّاتُ:**
- مصلوح، سعد، نحو أجروميَّةٍ للنَّصِّ الشِّعريّ، دراسةٌ في قصيدةٍ جاهليَّةٍ، مجلّة فُصُول، العدد ا، يوليو وأغسطس، ١٩٩١م .

ABSTRACT

Textual Reference for the Necessitating Causes for the Glorification of Allah in the Qur'anic Discourse: "The Seven Musabbihat" as a Model

Abstract

The Noble Qur’an is the overflowing spring from which researchers draw, until Allah inherits the earth and those on it. Therefore, the efforts of researchers will not stop in tracking its phenomena, exploring its secrets, and its aesthetic dimensions. Accordingly, this textual study is directed towards studying the surahs that are called the “Al-Musabbihat” or “The Seven Musabbihat”. That is the term that refers to the seven surahs that begin with one of the words of glorifiation derived from the root “sabbaha” as follows: subhana, sabbaha, Yusabbih, and sabbah. The seven surahs in question are Al-Isra’, Al-Hadid, Al-Hashr, Al-Saff, Al-Jumu’ah, Al-Taghabun, and Al-A’la.

The importance of the study lies in exploring the dimensions of textual cohesion among these surahs as a major textual unit. This is the basis of its difference from the rhetorical and linguistic studies that preceded it on The Seven Musabbihat. Besides, the research will explore the dimensions of textual cohesion among Al-Musabbihat after listing the necessitating causes for the glorification of Allah mentioned in the verses of those surahs, on the one hand; and considering the mechanisms of cohesion among them despite their divergence, on the other hand.

Accordingly, the study will follow the inductive approach, being the most appropriate approach to exploring the mechanisms of textual cohesion among several divergent texts as a major textual unit at the same time.

Keywords: (The Seven Musabbihat, the Necessitating Causes for the Glorification of Allah, the Holy Qur’an, textual cohesion).